

الكتاب العربي السعودي



حسين عبد الله باسلامة

الإسلام في نظر أعلام الغرب

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة، المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي
٨٣

حسين عبدالله باسلامه

الإسلام في نظر أعلام الغرب

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة، المملكة العربية السعودية

الناشـــر

تهـامــة

جـدة ـ المملكة العربية السعودية

ص.ب ، ٥٤٥٥ ـ هاتف ، ٦٤٤٤٤٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم


الإسلام
في
نظر أعلام الغرب



بسم الله الرحمَن الرحيم

وبه نستعين

الحمدلله مدبر الكائنات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، ورسول الهدى والداعي لدين الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بنظام العالم والأمم وبالمدنية الراقية، والعمران البهج الذي مبناه على العدل والحضارة النضرة الرائقة والحرية الطاهرة النقية، والاجتماع الذي لا تشوبه الفوضى والسياسة البريئة من كل مكر، وخديعة، ومواربة، ومداهنة، وتضليل والمنقذ للبشر من الهمجية، والتوحش، والدعارة، وفساد الأخلاق وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله، واستضاؤوا بنوره، وضحوا بحياتهم في نصرة الحق، واقامة العدل حتى اسسوا دعائم الحضارة النضرة على انقاض الفوضى البائدة، في مشارق الارض ومغاربها، وفي كل حدب وصوب، أينما حلوا وارتحلوا.



المقدمة

أما بعد فيا أني قد رأيت سيل الالحاد والتشكيك أخذ يتسرب إلى أفئدة بعض الناشئة الاسلامية، وتيار الحيرة والغباوة ابتدأ يجترف عقول البسطاء وقصار المدارك من الناس، وصار بعض من قلد الملاحدة والمشككين تقليداً أعمى يتفضفض ببعض الكلمات التي تلقاها كتلقي (الببغاء) وامتلاء دماغه بها امتلاء الاسطوانة من كتب الملاحدة، وهو لا يدري ما هي الحقيقة ولا يفهم شيئا من قواعد الايمان الصحيح ثم أخذ يرفع عقيرته بما تلقاه من غير أن يدرك مقاصدهم وانما أراد أن يثبت للعالم أجمع أنه على جهل عظيم، وكفر صريح، والحاد ممقوت، فمن الكلمات التي يتفوهون بها: (ماذا عمل محمد من المدنية والعمران، ولو وجد محمد في هذا العصر الذي هو عصر الحرية والتنور والمدنية، ماذا كان يعمل؟ وهل يستطيع أن يعمل شيئا؟ وان ما جاء به محمد في ذلك العصر يتناسب مع عقول أولئك الاعراب الجهلاء، وانه لا يصلح لهذا العصر الذي قد بلغ أهله أرقى ما يتصوره العقل من الحضارة والمدنية والعمران) وغير ذلك من الكلمات الجوفاء الدالة على تعمق القائلين بها الى أبعد مدى في الجهل، والحيرة، والكفر، والالحاد، حتى من شدة تعمقهم أصبحوا بعيدين عن تصور ما جاء به سيد البشر، ومنقذ العالم من الهمجية والفوضى صلى الله عليه وسلم، وما عمله من الخير العميم لكل من نور الله بصيرته.

وحيث إن هؤلاء ومن على شاكلتهم في نظر كل عاقل بصير أحقر من أن يتصدى للرد عليهم، أو يلتفت الى ترهاتهم، ولم آت هنا بما أتيت به ردا عليهم، وانما دعاني الى تحرير هذه الوريقات هو الحرص على بعض الناشئة الاسلامية التي قد رمتهم الأقدار في المدارس والأندية والمجتمعات التي يتولى التدريس والمحاضرة فيها أمثال هؤلاء ومن على شاكلتهم في البلدان التي قد أعمى أهلها التفرنج ولأجل أن يكون النشء على علم تام بما عمله المنقذ العظيم ورسول الرحمة الكبير صلى الله عليه وسلم فقد ألفت كتاب (حياة

سيد العرب، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) في أربعة أجزاء، وتابعته بتاريخ الخلفاء الراشدين في أربعة أجزاء، وكذلك تاريخ خلفاء بني أمية ومعهم ابن الزبير في أربعة أجزاء، ثم بتاريخ خلفاء بني العباس في أربعة أجزاء، وملوك الطوائف في أربعة أجزاء ولم أضمنها سوى السياسة والاجتماع فقط، وتركت باقي ما جاء به سيد العرب من التشريع، والفقه، والمعجزات، والتوحيد، والحكم والمواعظ، والطب، والفلك، وما في معنى ذلك، حيث قد صدر فيها مما دبجه يراع جهابذة العلماء مئآت الآلاف من الأجزاء والمجلدات وهي كفيلة بما تضمنته مما يسد حاجة كافة البشر.

وقد صغته بما اصطفيته من اصح المصادر التي دبجها يراع أبطال الكتاب، والمؤلفين والمصنفين، الذين هم اعلام الاسلام من مفسرين ومحدثين، وفقهاء ومؤرخين، وشراح ومحشّين، ولغويين، وفلاسفة ومفكرين، وسياسين واداريين، واجتماعيين، وهي تربو على اكثر من مئتي مؤلف. وجعلته سلس العبارة، سهل القراءة تتسنى دراسته لكل من عرف القراءة من عوام المسلمين، بغير أن يضطر لفهم العبارة الى الرجوع لكتب اللغة، أو الشراح، أو المفسرين، وذلك لأجل أن يقف القارىء بسهولة على حياة منقذ الأمم من عرب وعجم صلى الله عليه وسلم من الجهل، والضلال، والاستعباد، والفوضى، والاعتساف، ويعلم كيف كانت طريقته في الاصلاح، وكيف استطاع أن ينقذ البشر من الهمجية، وكيف كابد في ذلك، ويقف على ما ناله من الاذى، والبلاء والمحن حتى انتشل أمته من هاوية الشقاء، وعرج بهم الى أوج السعادة والارتقاء، الى ان بلغت الأمة المحمدية أعلى قمم الرقي والعمران، ويعلم أيضا أنه قد تخرج من مدرسته المحمدية ممن تغذى من ارشاداته وتعاليمه من أولئك الاعراب الاميين سكان قلب الجزيرة، وانحائها، وفلواتها رجال قادوا الامم في الحروب، والسياسة، والعلم والمدنية، والعمران، والحضارة، والاجتماع، حتى وصل الاسلام الى انحاء المعمورة، وبلغ العالم الاسلامي مئات الملايين، ويعلم ايضا أن أساس الرقي الاسلامي كان مبنيا على ربط قلوب المسلمين بعضها ببعض برابطة الايمان الصحيح الذي كان دستوره القرآن المجيد، ويظهر له من دراسة ذلك أن لا حياة للمسلمين الا اذا سلكوا هذا الطريق المستقيم وطهروا قلوبهم من الخرافات،

والبدع، والضلال، والزيغ، والالحاد، والتشكيك و يعلمون أن ذلك لايأتى عفوا بغير اجهاد أنفسهم على التعلم والتعليم وتتبع سيرة ومنهج سيد المرسلين وامام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمشى على مبادئه بقدم ثابتة، وقلب مطمئن بالايمان الصحيح، وفكر ثاقب مستضيء بنور الهداية، وعقل نقي من الغباوة والجمود والجهل المركب، فتى عمل المسلمون بذلك وسلكوا هذا الطريق المستقيم فلا شك انهم ينهضون من كبوتهم و يفيقون من غفلتهم، و ينتشلون من عثرتهم، و يتخلصون من نكبتهم، و يصبحون سادة بعد ان صاروا مستعبدين، وأمراء بعد ان كانوا مأمورين، وقوادا بعدما صاروا مقودين، وعلماء بمصيرهم بعد أن اصبحوا جاهلين، ومعلمين بعد ان كانوا تلامذة، وأئمة متبعين في كل علم وفن بعد أن صاروا مقلدين في كل شيء تقليدا اعمى بغير أن يعقلوا بالشيء الذي قلدوا فيه هل هو مضر أم مفيد.

وربما يتبادر للقارىء أن الامر قد فات، أو كما يقوله بعض المتقاعدين عن النهوض ان هذا آخر الزمان ولا يمكن ادراك ما فات، فالأمر سهل لأن باب الهداية مفتوح على مصراعيه، وسبيل الوصول الى الرشاد سهل السلوك، وما على رائد الخير والفلاح والنجاح الا متابعة ما جاء به نبي الرحمة، ورسول السعادة صلى الله عليه وسلم، وهو فائض وكثير ومتيسر في كل وقت وحين وهو موجود في كل عصر ومصر.

واما اذا تمادى المسلمون في غفلتهم، وتعمقوا في غرورهم وسبحوا في بحار جهالتهم، وتقاعدوا عن سلوك سبيل الهدى والرشاد، واتبعوا أقوال الملاحدة والمشككين ومن على شاكلتهم أولئك الذين هم العقبة الكؤود في سبيل اصلاح الناشئة الاسلامية، والذين يصرفون وجوههم عن طريق السعادة و يسمونها لهم بأسماء منفرة: كالرجعية والتأخر الى الوراء والهمجية، وغير ذلك مع انهم بذلك اجدر فلا شك انهم من الهالكين حيث لا نجاح للمسلم ولا سبيل الى السعادة الا بتتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من بعده ومن حذا حذوهم من اعلام المسلمين.

ولا يغرنك ايها المسلم الغيور على دينك، ونبيك، وكتابك (القرآن المجيد) وجامعتك الاسلامية، ما يقوله حشرات الالحاد أولئك الذين نشأوا في مستنقع السفالة، والغواية، والجهالة، والبذاءة والغباوة، والسفسطة، والغرور، والحيرة، والتشكيك،

والوقاحة، والخسة، والحطة، والدناءة، من أن سيد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم انما جاء في عصر الهمجية، ولو جاء في هذا العصر الذي هو عصر المدنية، لما أمكنه ان يعمل شيئاً. فهؤلاء وأمثالهم لا يعلمون ما عمله النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمكنهم ان يعلموه لأنهم غارقون في بحار العماوة، ومستنقعات الفساد، فكيف ــ وحالتهم هذه ــ يمكنهم ان يعلموا، او يفهموا او يشعروا بما عمله سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم من الخير العميم لسكان المعمورة، وما سيعمله لو وجد الآن؟ فينبغي على كل مسلم ان ينبذ هؤلاء من البشرية وان يطمس وجوههم بالقار لأنهم من الحشرات التي نبتت من القذارات وليس لها مصلحة غير الفتك في اعصاب البسطاء والجهلاء والاغبياء ومن على شاكلتهم، والدليل على ذلك انك تراهم ساخطين على آبائهم لكونهم كانوا من المسلمين وسموهم بأسماء المسلمين، ولم يفهموا بأنهم لم يكونوا مسلمين ولو ان آباءهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء بعض المسلمين لان الاسلام له شروط، وله عقائد، وله تشريع خاص، فلا يكون الشخص مسلماً الا اذا كان فيه شيء من صفات الاسلام. فليت آباءهم حين سموهم بأسماء المسلمين سموهم بسم قاطع واراحوا البشرية من نتانة أفواههم، وطهروا الارض من قذارتهم.

أمّا الجواب على قولهم: لو وجد محمد ماذا كان يعمل؟ فأقول: قد سبق في الاجزاء الاربعة من كتاب (حياة سيد العرب) ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم كان قد بعث في وسط الأمة العربية منفرداً، ولما بث دعوته بين قريش ومن خالطهم من العرب والموالي كان اول من خالفه، وصادمه ورد عليه دعوته، وكذّبه أهل بيته وعشيرته، ثم عموم قبائل قريش ثم كافة العرب، وتصلبوا ضدّ دعوته ورفضوا التفاهم معه، وآذوه وقاطعوه، وعذبوا أصحابه عذابا شديداً لانهم كانوا في جانب القلة المتناهية، فلم يحن ذلك من عزمه، ولم يضعف ارادته، ولم يصد اقدامه بل انه ثابر على دعوته، وتقدم في عمله الذي بعث من أجله بقدم ثابتة وقلب صلد، واخذ يعمل في السرّ والعلانية ثلاث عشرة سنة يدعو الى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويستجلب قلوبهم، ثم بعد صرف جهود عظيمة، وصراع عنيف، طوال تلك المدة استطاع ان يشكل كتلة من نحو مائة رجل من العرب فيهم السيد، والشريف، والضعيف، والمولى ثم هاجر معهم الى المدينة حينما تآمرت قريش

على قتله. ثم بعد الهجرة اتسعت حلقة تلك الكتلة وتفرع منها حسب تعاليمه وارشاداته صلى الله عليه وسلم رجال قادوا الامة بمهارة فاقت على عموم قواد العالم في ذلك العصر، واكتسحت مملكتي فارس والروم من الشرق، ثم افتتحوا الدنيا في نصف قرن كما اعترف بذلك الامبراطور (نابليون بونابرت) ملك فرانسا.

فاذا كان الامر كذلك، وفرضنا المحال، ووجد هذا الحكيم الكبير والنبي العظيم، والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الذي هو على قولهم عصر العلم والتنور، فيكون الأمر اسهل مما كان في ذلك العصر الهمجي لأن التفاهم مع العالم والمتنور أسهل وأقرب من التفاهم مع الاعراب الجفاة، فهو لاشك انه بعد التفاهم معهم يستلم قيادتهم ويحلل كل ما هو متعسر تحليله من المشكلات التي استعصت على أقطابهم في هذا العصر الحاضر وهذا بديهي لا يحتاج الى اقامة الأدلة على ثبوته، لأن من كان في استطاعته اصلاح الهمج والمتوحشين وارباب الجفاء، لا يعسر عليه قيادة المتنور والمتمدن والمتعلم.

هذا اذا فرض وجود المصلح الكبير محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر ولم يكن على وجه الأرض مسلم، واما لو وجد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الحاضر ووجد امامه اربعمائه مليون مسلم كلهم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فيهم المتعلم والمتنور والمتمدن، والقوي، وذو النجدة، ولا يحتاجون الا لمن يجمع كلمتهم، ويربطهم برباط الاخاء الصحيح الذي قد أرشدنا اليه بقوله صلى الله عليه وسلم «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وكما آخى بين المهاجرين والانصار على اختلاف طبقاتهم من سيد ومسود وجعلهم كتلة واحدة وجسما واحداً، فلا شك انه يوقظهم في أقرب وقت من سباتهم العميق، وينشلهم من كبوتهم، ويقودهم بحكمته الباهرة ويرقى بهم الى أعلى قبة في مستوى العالم من قبب المجد والسؤدد والفخار ويعرج بهم الى أسمى درجات المدنية والحضارة والعمران، ولا يمضي على المسلمين برهة من الزمن الا وقد اصبحت مقدرات العالم المتمدن بأيديهم كما وقع لسلفهم في عصر الخلفاء.

ولا يحتاج الامر الى دليل حيث ان مانراه في العصر الحاضر من أن مقدرات كثير من الامم المتمدنة القوية العظيمة الشأن أصبحت في أيدي أفراد مثل المانيا صارت مقدراتها في يد هتلر وايطاليا مقدرتها في يد موسوليني، وتركيا في يد مصطفى كمال، وهم من أفراد تلك الامم وليسوا بأنبياء، ولا رسل، ولم ينزل عليهم الوحي من السماء ولم تكن نظمهم الهية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، بل ان نظمهم وضعية قابلة للتعديل في كل آن وحين.

فاذا كان الأمر كما وصفنا، أفلا يكون لو فرض المحال و وجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر وقبض بيده الطاهرة على مقدرات العالم الاسلامي وقادهم كما قادهم سابقا بنظام رب العزة ومنظم الكائنات جل وعلا، ذلك النظام الذي قد ظهرت فائدته حتى عند أعلام الغرب، أفلا يكون مصيرهم أعظم وأرقى من سائر الامم المعاصرة؟ فلا ريب في ذلك.

وأما اذا كان مقصد هؤلاء الأغبياء من قولهم لو وجد محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر ماذا كان يعمل أمام المخترعات الحديثة من الدبابات، والطيارات، والمدرعات، والآلات الجهنمية، والغازات الخانقة؟ فذلك مما يدل على شدة حماقتهم وغباوتهم وجهلهم المتناهي، فلو انهم درسوا التاريخ الاسلامي وفحصوه فحص المستشرقين على الأقل لعلموا كل شيء عمله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعمله اصحابه رضي الله عنهم من بعده وتابعهم على ذلك العمل من أتى بعدهم من خيار السلف الصالح، بل ولعلموا أيضا ما عملته العرب البائدة في عصورها الغابرة، فقد ذكرت في الجزء الاول من (حياة سيد العرب) أن العرب هم أول من صنع السفن في غابر أجيالهم في الخليج العربي قبل ان يصنع **الفينيقيون** ملاحتهم في البحر الأبيض المتوسط. ولما جاء الاسلام بنوره وابتدأ الفتح الاسلامي كان سلاح المسلمين السيف، والرمح، **والقوس**، فلما وجد المسلمون ان أعداءهم يستعملون أسلحة أخرى مثل المنجنيق، والدبابات، والضبور، ومافي معناها، قاموا على الفور بصنع ماهو أقوى مما بايدي الاعداء. ولما غزا معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرص في خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه غزاها بأسطول عظيم من صنع المسلمين وتفوق به على اسطول أعدائه، وكان النصر في جانبه، وغير ذلك من المهمات الحربية التي قد قام

بصنعها المسلمون وفاقوا على خصومهم في كل موطن من مواطن البأس. مع ان مخترعات المسلمين في عموم ادوارها الى زمن غير بعيد كانت ابهى واعظم من مخترعات أهل الغرب، بل كانت هي المخترعات الوحيدة في العالم، حينما كان الغرب يتخبط في ظلمات الجهل وذلك بشهادة الاستاذ (درابر) الامريكي، والاستاذ (سنكس) والأستاذ (دروى) أحد وزراء فرنسا السابقين، وغيرهم كما سيأتي تفصيل ذلك عنهم. غير ان ذلك كان حينما كان المسلمون متيقظين. فلو فرض المحال ووجد نبينا محمد صّلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر **لأيقظ** المسلمين من سباتهم العميق ونهض بهم نهضته المعروفة حتى عند علماء الغرب، **ولارشدهم** الى عمل ماهو أفوق من عمل أعدائهم في عموم المخترعات اتقانا وجودة، وتأثيراً، حيث ان لكل عصر من العصور سلاحا خاصا وقد أرشدنا القرآن الى مقابلة الاعداء بالمثل أو بما يفوق عليهم بقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فلما كانت القوة بالسلاح الابيض والخيل المسومة، فقد استعد المسلمون بذلك ولما صارت الآن القوة بالطيارات

والمدرعات والدبابات، والآلات الجهنمية، والغازات الخانقة، فطبعا من الواجب أن يكون الاستعداد بمثل تلك القوة أو بما يفوق عليها. وربما تكون هذه الآلات الحربية التي هي محل اعجاب أهل العصر الحاضر في العصور المقبلة لا تعد شيئا أمام ما سيحدث من المخترعات في تلك العصور وتصبح هذه المخترعات أمام تلك بمثابة السلاح

الابيض أمام مخترعات العصر الحاضر، فان ظن هؤلاء الاغبياء انه لو وجد النبي صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر يجعل سلاح المسلمين السيف والرمح والقوس فقط

ولا يأمرهم ان يستعدوا بمثل السلاح العصري أو بما يفوق عليه فهذا مما يضحك الثكلى مع ان المخترعات الحديثة العصرية لم تنزل على أهل الغرب من السماء أو انه جاء بها نبي مرسل من الله تعالى لاهل الغرب خاصة، وانما هي جاءت عن طريق التفكير والبحث ومن نتائج التجارب: كما أن ذلك ليس هو بالامر الصعب على كل من له مسكة من العقل. فلو أن المسلمين باروا أهل الغرب في مخترعاتهم وجدوا في عمل تلك المصنوعات لكانوا على الاقل مثلهم في كل شيء اذا لم نقل انهم يفوقون عليهم كما فاق سلفهم المتيقظ السعيدي في عموم اعماله على معاصريه. فاذا علمت ذلك ظهر لك أن الذنب لم يكن ذنب الدين الاسلامي وانما الذنب ذنب المسلمين الذين

تقاعدوا عن واجبهم الديني والدنيوي حتى صاروا اذلاء في عقر دارهم واستوجبوا هذا التأخر أمام الغرب وهذا الاستعباد.

هذا ما كان يصنع أو يعمل به (كما يظهر و يتبادر الى الذهن) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قياسا على ما عمله في عصره لو فرض وجوده في هذا العصر الحاضر من ايقاظ المسلمين من غفلتهم، وانهاضهم الى ما فيه تفوقهم على عموم معاصريهم، وجعلهم فوق مستوى العالم أجمع، واما ما كان يعمله في اذناب الالحاد، أولئك المرجفين الذين لا خلاق لهم فان أول شيء كان يعمله فيهم هو طم تلك المستنقعات التي نبتوا منها، وردم أبؤر القذارة التي نشأوا فيها، وهدم دور الالحاد والبذاءة والتشكيك التي استخرجوا منها، واحراق كتب التبشير التي قد حشيت بالاكاذيب والترهات والتشو يه والمفتر يات على الدين الاسلامي والتي هى سلاح الملاحدة الذين قد ارتشوا على اذاعتها بين البسطاء من المسلمين باسم التجدد واشعال النار في الحانات التي جعلوها أندية لهم واصلاء أبدانهم بلظاها وذلك ليطهر الانسانية التي لوّثوها ببذاءتهم وقحتهم و يريح البشرية من وقاحتهم وسفسطتهم ويخلص بعض الناشئة الاسلامية التي رمتهم الاقدار في أيديهم من رجسهم و يشفى صدور قوم مؤمنين بابادتهم من وجه الارض.

هكذا كان يصنع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فرض وجوده في هذا العصر قياساً على ما صنعه فيمن كان مثلهم في عصره من مشركي قر يش ويهود بني قر يظة بما فيهم حيى بن اخطب و بعض المنافقين أولئك الذين قد بذل قصارى جهده في اصلاحهم فلم يفد فيهم غير الارهاق والتنكيل.

مع ان الامر لا يحتاج الى وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر بل ولا الى وجود احد من الخلفاء الراشدين مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه او عمر الفاروق رضي الله عنه او الى احد القواد المهرة مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه او سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه. بل ولا يحتاج الامر الى من هو اقل بدرجات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ابن هبيرة او ابن ابي ليلى، أو موسى بن نصير، أو طارق بن ز ياد ذلك الذي افتتح أورو با بعشرة آلاف مسلم او يوسف صلاح الدين الايوبي ذلك الذي دحر دول أورو با من فلسطين واجلاهم

عن بلاد الاسلام بجنوده العرب الذين هم من مصر وسوريا فقط وليس الامر ايضاً يحتاج الى غير هؤلاء القواد في العصر الحاضر وذلك لان الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تبارك وتعالى هو بين أيدينا بسوره وآياته وحروفه ولم ينقص منه حرف واحد ولم تتغير فيه كلمة واحدة. كما أن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم التي أرشد بها أصحابه مدونة ومعلومة عندنا، وكل هذا كاف وكافل لهداية البشر في هذا العصر وفي عموم العصور الآتية، وصالح لكل زمان ومكان الى يوم البعث والنشور، وموعظة للمسلمين لايقاظهم من سباتهم العميق.

وانما الذي نحتاجه في العصر الحاضر هو ايجاد رجال مصلحين يقومون باصلاح المسلمين وربط اواصرهم وجمع كلمتهم على المباديء التي سار عليها الخلفاء الراشدون ومن حذا حذوهم من خلفاء بني امية وبني العباس. وليس ذلك بالامر الصعب الذي لا يمكن الوصول اليه، بل إدراك ذلك من اسهل الامور. وانما يجب علينا قبل كل شيء ان نعمله بعد ان وصلنا الى ما وصلنا اليه من التفكك الشنيع والتخاذل المريع والتقاعد المميت تحطيم هذه القيود التي قد قيدنا بها أنفسنا او قيدنا بها أعداؤنا وننبذ ما اعترانا من البدع التي دخلت علينا في ديننا وصرفت وجوهنا عن مباديء الدين القويم الذي سار عليه السلف الصالح ونهدم دور الالحاد والتشكيك على رؤوس أهلها أذناب الاستعمار والتبشير التي هي السبب الوحيد في تأخر كثير من الناشئة الاسلامية التي عليها المعول في الحال والاستقبال وصرفت وجوههم عن الواجب الديني الذي هو الاساس الوحيد لنهضة الاسلام والذي هو الدافع لمعتنقيه الى الرقي والتقدم في عموم ما يحتاجه الانسان لصالح دينه ودنياه وآخرته.

فاذا عملنا ذلك وتخلصنا من البدع والخرافات، والالحاد، والتشكيك وشافانا الله من ذلك الداء العضال الذي هو التقليد الأعمى لكل ناهق وناعق، ولكل دجال وشيطان، ولكل ضال مداهن وجب علينا الرجوع الى الوراء ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة: وذلك لأجل أن ندرس بدقة تعاليم المؤسس الأعظم لهذه الجامعة الاسلامية ذلك المؤسس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم نتبصر في أعمال الخليفتين أبي بكر الصديق، وعمر والفاروق رضي الله عنهما وما قاما به من النهوض بالأمة الاسلامية نحو

الرقي والاجتماع والتقدم في عصريها السعيدين، ثم نتتبع سير قواد الاسلام العظام أولئك الذين قد فتح الله تعالى على أيديهم الأقاليم والممالك في عموم أنحاء الأرض، واستقبلتهم تلك الأمم بصدر منشرح لكونهم أطعموهم حلاوة العدل والحرية

والانصاف. ومتى نجحنا في دراسة كل ذلك ووقفنا وقوفا تاما على تلك النظم الشرعية، والاجتماعية، والسياسية، والادارية، والعمرانية. وجب علينا أن نسير على موجبها سيرا حسنا منظما. ومتى قمنا بهذا الواجب تسنى لنا بعد ذلك أن نربط أواصر العالم الاسلامي الذي يربو على أربعمائة مليون من النفوس برابطة الايمان الصحيح

الذي لا يشوبه تفكك، ولا تخاذل ولا يتخلله الحاد ولا تشكيك، ولا بدع، ولا خرافات، نربط ذلك العالم الاسلامي المتبعثر، والمتفكك، والمتخاذل، في عموم أرجاء الأرض ذلك الذي يقطن من رأس الرجاء الصالح بأقصى افريقية جنوبا الى أقصاها شمالا ومن المحيط الأطلنطي غربا الى أقصى الصين شرقا. ومن جزر الاقيانوس جنوبا بما فيها جزر جاوا: ثم أقاليم الهند: والايران: والافغان: وتركستان: وبخارى، والقفقاس، الى تخوم روسيا شمالا وما تخلل تلك الحدود بأواسط آسيا وأطراف أوربا، وغير ذلك من الأقاليم التي يوجد بها أفراد وجماعات من المسلمين.

وهنا نتساءل عن الطرق الموصلة الى ذلك. فالذي يظهر لنا أن هناك طريقين يمكن الوصول بواسطتها الى ما نتوخاه من الاصلاح. (احدهما) أن يختار العالم الاسلامي منه رجالا أشداء مخلصين لدينهم ولأمتهم ولجامعتهم الاسلامية، غيورين على أبناء جلدتهم من عموم أجناس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ويكون هؤلاء المختارون على قسمين. قسم منهم يتولى التدريس في عموم المدارس الاسلامية، وكل أمة من الأمم

الاسلامية تضع في مدارسها أساتذة متضلعين في لغة تلك البلاد مع وجوب تعليم اللغة العربية حتى يتسنى لعموم الأمة الاسلامية أن تتفاهم مع بعضها بعضاً باللغة العربية التي هي لغة القرآن وذلك بعد أن ينبذ وينحى منها أساتذة الالحاد والتشكيك الذين هم رسل التبشير ودعاة الضلال والداء العضال في جسم المسلمين والذين هم أيضاً أساس الفساد في تضليل كثير من الناشئة الاسلامية. فيتولى هؤلاء الأساتذة المختارون تدريس

فلذات أكبادهم ورجال المستقبل على قاعدة الايمان الصحيح فيغذون ارواح الناشئة بمبادىء الاجتماع الاسلامي والاخاء الانساني ومكارم الأخلاق والتكاتف والتعاضد.

والقسم الثاني يتولي القاء المحاضرات، والخطب الاجتماعية في الاندية والمجتمعات العمومية، و يسيرون الى الامام بقدم ثابتة وقلب صلد، ورابطة جأش، وعزم صادق واقدام مستمر، وجراءة فائقة لا يهزهم التهديد، ولا يصدهم الوعد والوعيد، و يتسلحون بالصبر والثبات كما صبر منقذ العالم محمد صلى الله عليه وسلم على أنواع البلاء، وصنوف الارهاق، وكما صبر أصحابه رضي الله عنهم على أشد أنواع العذاب، حتى بلغوا مرادهم من انقاذ البشرية من الفوضى والشرك والاستعباد.

فمتى ثابر هؤلاء المصلحون بضع سنين على ذلك فلا شك انهم ينجحون في أعمالهم، و يتوفقون في غرس المبادىء الاسلامية في قلوب عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم و بالاخص في انقاذ الشبيبة من براثين الالحاد والتشكيك والتفرنج لأن الامر موقوف على تأهل الشبيبة وتغذية أرواحها بمبادىء الايمان الصحيح لانهم هم رجال المستقبل وعليهم المعول في الدفاع عن الاسلام من كل تعد مادي أو معنوي ولا تمضي على المسلمين برهة من الزمن الا وقد أطلقوا من عقالهم وأصبحوا أقوياء الجانب عظيمي الهيبة، مستقلين استقلالا تاما بأوطانهم، ومصونين في أهليهم وأولادهم وأموالهم. وهذا هو الطريق السلمي الوحيد، وهو سبيل الهدى والرشاد والنجاح والفلاح في كل شيء.

فظهر مما تقدم أن الأمر لا يحتاج الى وجود المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم وانما الذي نحتاج اليه هو التمشي على طريقته التي كان دستورها القرآن المجيد فلو ان المسلمين ساروا على ذلك الطريق الأوحد، وتمسكوا بأعباء الدين الحنيف وسلكوا سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، واقتدوا بالخلفاء الراشدين المهديين من بعده، لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من الانحطاط والتفكك والتخاذل بل كانوا لا يزالون في عز مستمر، و بقوا على ما كانوا عليه في سالف مجدهم سادة العالم أجمع، رغماً عن المدنية العصرية الجوفاء التي مبناها على التهتك والدعارة، ونبذ الفضيلة، ورغماً على أنوف المعجبين بها أولئك الذين خسروا أنفسهم وأموالهم فيما لم يحمد عقباه من الخبائث وتراهم

ساخطين على الاسلام لانه حرم على الناس الخبائث وأباح لهم الطيبات لكونهم قد ألفوا الخبائث وانغمسوا فيها ، وأصبحوا لا حياة لهم الا بها .

وربما يتبادر الى بعض الأذهان الجامدة ان الاسلام انما هو دين عبادة، وليس هو دين مدنية ، وحضارة ، وعمران ، واجتماع ، وسياسة وأنه يمنع معتنقيه من معرفة الصناعة والزراعة ، ومزاولة الفنون الجميلة .

فوجب ان أوضح له ما كان عليه الاسلام في سابق مجده . فقد حدثنا التاريخ ان الاسلام جاء بنظام العالم والامم ، وبسعادة البشر ، وبالمدنية الطاهرة النقية من كل دعارة وفسق وفجور ، تلك المدنية التي كان مبناها على مكارم الاخلاق ، وبالعمران الذي شيد على العدل وبالحرية الفاضلة ، والمساواة بين طبقات البشر في الحقوق ، وبالحضارة البهجة التي لاتزال محل اعجاب أعلام الغرب وفلاسفته ومفكريه الى اليوم ، كل ذلك كان بارشاد الدين القويم ، فقد احل للامة الاسلامية الطيبات ، وامرها باتخاذ الزينة حتى عند كل مسجد كما حدثنا التاريخ عما شيده المسلمون من العمران الهائل ، فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه ترعة السويس واجرى السفن فيها من القاهرة الى البحر الأحمر ، وعمر ابو جعفر المنصور مدينة بغداد وانشأ على ايوانه تلك القبة العظيمة التي كان بناؤها بالذهب الوهاج وقد بلغ ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وبنى عبدالرحمن الثالث الاموي بقرطبة في اسبانيا مدينة الزهراء وهي عبارة عن قصر ، ومسجد ، وحديقة ، وقد صرف عليها مئات الملايين من الدنانير ، وغير ذلك من بدائع العمران وصنوف الفنون الجميلة ، مما ادهش المفكرين والمنصفين من اعلام الغرب ، فكان المسلمون هم اساتذة اوربا في عموم علومهم ومعارفهم حتى الميكانيكا . وقد شهد بذلك كثير من علماء الغرب وفلاسفته . اولئك الذين نشأوا في أحضان المدنية الغربية في العصر الحاضر ، وهم لا يزالون على غير دين الاسلام وقد تصدى المنصفون منهم بالرد على مفتريات المبشرين من ابناء جنسهم ومذهبهم . تلك المفتريات التي قد اختلقوها على نبي الاسلام ، وكتاب الاسلام ، والتشريع الاسلامي ، وعلى الخلفاء الراشدين ، واعلام الاسلام وقادة الاسلام وحضارة الاسلام ، فزيفوا اقوال القسس وكل ما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم والى الدين الاسلامي كما سيأتي في هذه الوريقات قريبا ، وكان الدافع لهؤلاء الأعلام الغربيين الى اظهار الحقائق هو

محض الانصاف، ولاجل ان يرشدوا امتهم الى محاسن الاسلام كي يقتبسوا منه ما يوافق مشاربهم، ويتمشى مع الرقي والعمران حسب رغباتهم، لكونه هو الدين الصحيح الذي لم يعتره تغيير أو تبديل.

هذا ما أردت بيانه عن حقيقة الدين الاسلامي ملخصا وقد اتيت باوضح مما تقدم في كتاب (حياة سيد العرب) وهناك تقف على ما عمله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من السياسة والاجتماع. واليك شيئاً وجيزا مما قاله اعلام الغرب الذين هم اهل الحل والعقد في بلادهم، وامتهم، واصحاب الكلمة المسموعة عند اقوامهم، وارباب المقامات الرفيعة في حكوماتها في الدين الاسلامي ونبي الاسلام وكتاب الاسلام وحضارة الاسلام وعمران الاسلام ومدنية الاسلام وماقام به رجال الاسلام من الاعمال العظيمة في كل شيء والاصلاح الكبير، ونشروا ذلك في مؤلفاتهم التاريخية والاجتماعية ومجلاتهم وجرائدهم السيارة وما القوه في انديتهم ومجتمعاتهم من الخطب والمحاضرات في ذلك، لكي تقف أيها القارىء على ما قاله أولئك الاعلام، الذين هم على غير دين الاسلام في محاسن الاسلام، وكونه هو الدين الوحيد الذي عليه مدار الاجتماع البشري، وفيه صلاح العالم اجمع وهو الذي يصلح لكل زمان ومكان. ثم تقارن بين اقوالهم وبين ما يقوله حشرات الالحاد والتشكيك، اولئك المنبوذون من الفضيلة، والانسانية ومكارم الاخلاق، حتى يظهر لك جليا ان هؤلاء الحشرات أجهل من الحيوانات العجم عقلا، وفهما وادراكا، وتصورا، وأحطّ من القردة والخنازير وعبدة الطاغوت في المجتمع الانساني قدراً، ومقاماً ومنزلة.

المؤلف



نظرية الكونت هنري

قال (الكونت هنري دي كاستري) وهو احد وزراء فرنسا، وأحد حكام الجزائر السابقين، في كتابه (الاسلام) الذي عرّبه المرحوم فتحي زغلول باشا في صحيفة (١٥):

إن امة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم، وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الاذهان رويداً رويداً، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقا يقال لهم الاحناف، بقوا على مذهب ابراهيم، واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد الآلهة) وتلقى محمد مذهب أولئك الاحناف بحالة سطحية، لكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الاّ قليلا، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلابا كليا في النوع البشري، ومن الخطأ ان نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الاحناف، لان محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً (نبياً أميا) وهو وصف لم يعارضه فيه احد من معاصريه ولا شك انه يستحيل على رجل في الشرق ان يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس، لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على ان القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الاقطار، فثبت اذن مما تقدم ان محمداً لم يقرأ كتابا مقدسا، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه اذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الاخرى لبقى الامر مشكلا كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الديني، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما؟ ولقد نعلم انه مر بمتاعب كثيرة وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته، فقد

خلقه الله ذا نفس تمحضت للدين، ومن اجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الاوثان ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى، اعتكف في (جبل حراء) وارخى عنان التفكير يجول في بحار التأملات عابداً مجتهداً، ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن اولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الادراك، لا بوضع المقدمات وتعليق النتايج عليها ما كان الا ان يقول مراراً و يعيد تكراراً هذه الكلمات (الله احد الله احد) كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له **كفواً** أحد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامي الذي دلّ عليه، ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا اله الا الله) ذلك هو اصل الاعتقاد باله فرد، ورب صمد، منزه عن النقائص، يكاد العقل يتصوره، وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، اولئك حقا هم المؤمنون كما يسمون انفسهم، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو اعظم مظهر في حياته، وهو ذاته اكبر دليل على صدقه في رسالته وامانته في نبوته.

ثم تكلم عن الوحي ومعجزات القرآن في بلاغته ومعانيه واعتراف فصحاء العرب باعجازه، وذكر منهم عتبة بن ربيعة، وذكر مسيلمة الكذاب واثبت بطلان ادعائه، وذلك من صحيفة (١٨) الى (٢١) ثم قال: ولو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله، بل كلام محمد، فلابد لنا على الحالين من الاعتراف بان تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع ابدا، خلافا لرأى من ذهب الى تكذيب نبوته، ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التي تلجئنا الى ان نرمي بالكذب نبيا هو في الحقيقة شخص مليء امانة وصدقا ـــ الى ان قال: اذاً ليس محمد من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي سلاب كما يقول موسيو (سايوس) ولا نسلم بانكار هذه الحقيقة، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضيع خصوصا اذا لاحظنا ان القرآن جاء ليتممها. كما ان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين: ثم قال: ولكن

الامر الذي تهم معرفته هو ان القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا.

وقال في صحيفة (٤٨) بعد ان اطال البحث في تحليل ما تقدم ورد على المتطرفين من المستشرقين فرياتهم على نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم:وبالجملة فان الاسلام ما دخل بلداً الا وصار ذا المقام الاول بين الديانات المسيحية من غير ان يتعرض لمحوها، وعلى هذا يتحقق ان الدين الاسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة. بل الاقرب للصواب ان يقال ان كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سببا في سقوط المملكة العربية —الى ان قال: ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الامم اليهودية، والمسيحية، والوثنية في افريقيا الشمالية، وفي قسم عظيم من آسيا، حتى انه وجد في بلاد الاندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً في الاسلام كل هذا بغير اكراه.

ثم بعد ان اطال البحث في العقائد الاسلامية والتشريع الاسلامي من ناحية الاعتقاد بالقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق، والرق صرح بان ذلك من حسنات الاسلام على المسلمين. وان الرق كان عند الامم المسيحية على اشنع حال. ورد على المبشرين اكاذيبهم ومفترياتهم وتشنيعهم على الاسلام، قال في صحيفة (٨٦):وهنا يجب البحث فيما اذا كان الاسلام دينا عموميا بطبيعته كدين بوزا وكالدين المسيحي، أو هو دين خاص بامة من الامم، وهو بحث طرق بابه من قبل موسيو (كينان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية، فالاسلام دين عام بغير شبهة، لاننا نشاهد من المسلمين في كل امة على اختلاف الاجناس والبلدان، فنهم الشرقي والتتري والغربي، والهندي والزنجي. بقى علينا ان نعرف مع موسيو (كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين، او متولدة من اسباب اخرى وهو يرى ان الامة العربية ليست مهده الطبيعي، وانما هو ينتمي اليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي، وهو قيد ناشيء عن نظر في الموضوع من احدى جهاته فقط لان الدين الاسلامي الذي منشؤه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لا محالة، وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية،

حصل تدريجا بطريقة يتعذر ضبطها، وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التي اعتنقته، بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد ان صار كما نراه في هذه الايام، فلا يغضبن موسيو (كينان) اذا حذفت تقسيمه الاسلام الى اول ولاحق، وقلت فيه كُلمة كما قال في كتابه انه دين عمومي ـــثم قال: ومن مزايا الاسلام انه دين رحيم، فهو يعد الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيداً والعالم يكتفي بتلاوة القرآن، والاثنان مقبولان عند الله، وللفقير مكان عال وللغني درجة رفيعة الخ.

هذه نبذة وجيزة نقلتها من نظرية الكونت هنري دي كاستري الوزير الفرنساوي من كتابه (الاسلام) وهذا الكتاب يحتوي على مواضع شتى دحض بها مفتريات القسس، والمبشرين وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للانصاف وزنا وكل ما اذاعوه من التشنيع على الاسلام، وكتابه ونبيه مع انه قد صرح انه مسيحي المذهب ولكن الذي دفعه الى ذلك هو **أولاً** حرية الرأي والانصاف في القول الحق وان كان ذلك ضد مذهبه، ثانيا اراد ان يطلع الامة الفرنساوية على حقيقة الدين الاسلامي لتكون على بصيرة من امرها ولا تغتر بفريات المبشرين الذين يستنزفون اموال امتهم باسم التبشير لدينهم دون جدوى ولا طائل تحته غير تضحية الاموال الضخمة في سبيل شهوات القسس وغطرستهم التي لا حد لها.

نظرية الأستاذ سيديو

وقال الاستاذ الكبير الموسيو (سيديو) الفرنساوي احد اعلام الافرنج وأحد وزراء فرنسا السابقين في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) تعريب (علي باشا مبارك) بصحيفة (٧) في المقدمة بعد ذكره لفضل الامة العربية قوله:

ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ووجه افكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج ــ المار باسبانيا، وبرتغال ــ الى نهر الكنج ــ وهو اعظم انهار الهند ــ وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والغرب، وأهل اوربا اذ ذاك في ظلمة جهل القرون المتوسطة، وكأنهم نسوا نسيانا كليا ما وصل اليهم من احاديث اليونان والرومان، واجتهد العباسيون ببغداد، والامويون بقرطبة، والفاطميون بالقاهرة، في تقدم الفنون ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقتصروا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر ارجاء ممالكهم، وكان لديهم من المعلومات، والصنائع، والاستكشافات ما استفاده منهم نصارى اسبانيا حين طردهم منها كما ان الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم.

ثم قال في صحيفة (٩) في وصف التمدن العربي: وصل التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن، ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادىء ما نحن عليه من المعلومات الاورباوية، فان العرب في غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية

الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة، وطليطلة والقاهرة وفارس ومراكش، والرقة، واصفهان، وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف. وقرىء ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية، وبذل العرب همتهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من اوربا بابتكارات تدل على انهم أئمتنا في المعارف ولنا شاهد صدق على علو شأنهم الذي تجهله الفرنج من ازمان مديدة، الاول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة، والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون **الفاخرة**، والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بغاية النشاط.

وقد اتى الموسيو سيديو في كتابه هذا على بعض السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وتوسط في بحثه ولم يكن مجحفا أو جافيا ونقل عنه الاستاذ فريد وجدي في كتابه (الاسلام دين عام خالد) في الجزء الاول منه بصحيفة (٤٢) انه قال: لقد كان المسلمون متفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطئت اقدامهم وكانوا هم السبب في خروج أوروبا من الظلمات الى النور. انتهى.

فهذا يدلنا دلالة صريحة على أن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم جناية لا تغتفر لكونهم تقاعدوا عن العمل، وتكاسلوا في درس العلوم والفنون التي خلفها لهم أسلافهم، وأهملوا مزاولة الصناعة في العصور الحاضرة حتى صاروا عالة على الغرب في كل شيء حتى في سم الخياط، ولم يكن الدين الاسلامي هو الذي أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية، فالذنب ذنبهم لأنهم أضاعوا مركزهم السياسي والاجتماعي والصناعي، كما أضاعوا

أستاذيتهم العليا على الغرب، وعلى العالم أجمع، وكانوا هم السبب الوحيد في انحطاطهم، وجعلوا مسوغا لأعداء الاسلام أن يرموا الدين الاسلامي بالجمود والتأخر، بناء على جمودهم وتأخرهم الممقوت في كل أحوالهم الدينية، والدنيوية، والاجتماعية.





نظرية الدكتور جوستاف لوبون

وقال الدكتور (جوستاف لوبون) الفيلسوف الفرنساوي في كتابه (سر تطور الأمم) تعريب فتحي زغلول باشا في صحيفة (١٥٩): اتحدت قبائل العرب بفكرة محمد صلى الله عليه وسلم فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء، وشادوا تلك الدولة الكبرى — ثم قال —: ومن أجل ذلك ساد اتباع محمد بتشدده، وامتد سلطانهم على قسم كبير من الدنيا زمنا طويلا، ولا تزال لهم خشية في النفوس.

وقال الدكتور جوستاف أيضاً في كتابه (تمدن العرب) نقلا عن كتاب (الاسلام في عصر العلم) من الجزء الثاني بصحيفة (١١٢): العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً، واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك، الا أننا نعرف نتائجها وآثارها، فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت، والنحاس، والزئبق، والحديد، والذهب، وأنهم برعوا جداً في صناعة الصباغة، وأنهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة المدى، حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك، ونعرف أيضاً أنه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجودة ولورقهم شهرة عامة. وانهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن — ثم قال —: من بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا. وهذه المكتشفات لا يجمل بنا أن نسردها سرداً بل يجب علينا أن نهبا

شيئاً من التفصيل. — الى ان قال: مما مر يتجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية في العلوم الطبيعية لا تقل في الخاطرة والقدر عما لهم منها في العلوم الرياضية والفلكية وما نسرده عليك هنا يعرب لك عن تلك الحضارة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية خصوصا في نظريات الضوء والابصار، وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكية من ادق ما يعرف من نوعها واكتشافهم للجواهر التي تعد من اعظم اراكين علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك. وقد سجلت لهم اكبر العمليات الاساسية مثل التقطير مثلا وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة والصناعة وخصوصا لاستخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغ الخ وعرف عنهم عمل الورق من الخرق، ويرجح انهم طبقوا البوصلة على فن الملاحة وأدخلوا هذا الاكتشاف الاساسي الى اوربا. انتهى.

هذا بعض ما قاله الدكتور جوستاف لوبون عن مدنية العرب الاسلامية وحضارتها واكتشافاتها وصناعتها وفنونها الجميلة، وهذا شيء لا يختلف فيه احد ممن درس التاريخ الاسلامي ومدنية الاسلام العربية، غير ان المنصفين من الغربيين هم الذين صرحوا بها رغما عن الملاحدة والمبشرين الذين قد تعمدوا انكار الحقائق عموما بما كان للاسلام من رقى وعمران وحضارة سواء كان ذلك عن علم او عن جهل، ولكل حظه من السعادة والشقاء والصدق والكذب.

نظرية الأستاذ لاين بول

وجاء في تاريخ العرب في اسبانيا كلمة للاستاذ (لاين بول) وهي قال: لبثت اسبانيا في قبضة المسلمين ثمانية قرون، وضوء حضارتها الزاهرة يبهر أوروبا وازهرت بقاعها الخصبة بمجهود الفاتحين وانشئت المدائن العظيمة في سهول الوادي الكبير ووادي يانا فلم يبق ثمة ما يذكرنا بماضيها المجيد سوى الاسماء، والاسماء فقط، وتقدمت بها الآداب والعلوم والفنون دون سائر الاقطار الاوربية الاخرى فهرع اليها الطلاب من فرنسا والمانيا وانجلترا ليردوا مناهل العلم التي كانت تفيض على البلاد العربية دون غيرها وكان جراحو الاندلس وأطباؤها من ابطال العلم ونوابع الفنون،ونبغت بقرطبة نسوة طبيبات شجعن على المثابرة في الدرس والتعمق في البحث، ولم تثمر وتكتمل زهرة العلوم الرياضية والفلكية والنباتية والتاريخ والفلسفة والتشريع الا في اسبانيا العربية،ومهر العرب الاسبان في الزراعة وطرق الري الفنية وفي فن التحصين وبناء السفن وفي صناعة الغزل، كذلك نبغوا في فنون الحرب نبوغهم في فنون السلام فلبثوا زمنا مديدا في طليعة المتفوق الظافر، وبينما كانت اساطيلهم تنافس الفاطميين سيادة البحر اذ بجيوشهم تحمل النار والسيف الى امم النصرانية فكل ما يدعو الى عظمة امة وسعادتها وكل ما يؤدي الى رقي باهر وحضارة سامية فاز به مسلمو اسبانيا. انتهى.

هذا ماقاله لاين بول عن مدنية العرب في الاندلس وانهم هم اساتذة الغرب في عموم الفنون والعلوم والصنائع وكان بحثه منحصرا في الاندلس

خاصة لان موضوع كتابه كان خاصا باسبانيا ولم يتعرض لحضارة الاسلام في اقاليم الشرق عامة، وعلى كل فقد كان من طبقة المنصفين الذين يتتبعون الحقائق و يذكرونها في مصنفاتهم بصورة صحيحة طبق الاصل ولو ان ذلك لا يتفق مع مصلحة المبشرين منهم.



نظرية اسحاق طيلر

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) في الرد على كرومر للشيخ مصطفى الغلاييني بصحيفة (٣٨) نقلا عن (اسحاق طيلر) رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكليز من خطاب فاه به في مؤتمر الكنيسة انه قال: الاسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الانسان مالم يعلم والتي تقول بالاحتشام في الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس، فمنافع الدين الاسلامي لا ريب فيها وفوائدها من اعظم أركان المدنية ومبانيها • انتهى • فهذا اعتراف من رئيس كنيسة بمزايا الاسلام مع ان القسس هم اشد الامة المسيحية تعصبا ضد الاسلام والمسلمين، ولكن مع ما فيهم لا يخلو ان يكون واحد منهم يتكلم بصراحة عن محاسن الاسلام ولو كان ذلك ضد مذهبه •

نظريـة واشنطون

ونقل عن (واشنطون ابرفنج) انه قال: القرآن فيه قوانين زكية سنية •

نظرية الأستاذ جيبون

ونقل عن (جيبون) انه قال: القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الأطلنطي الى نهر الجانجس بانه الدستور الاساسي ليس لأصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤونه ــ وقال ايضا: ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهي شريعة حيكت باحكم وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين. انتهى.

هذا ما قاله الاستاذ (جيبون) عن القرآن المجيد وعن التشريع الاسلامي وكونه يشمل الناس جميعا وانه حيك باحكم منوال شرعي فاذا قابلنا بين قول هذا المستشرق وبين قول من ينتمي الى الاسلام ذلك الذي يقول بكل وقاحة ليس في القرآن تشريع منتظم فماذا تكون النتيجة؟ فلا شك ان يكون الاخير أجهل من الحيوانات العجم اذ ان المستشرق يستطيع ان يفقه التشريع الاسلامي،وذلك الذي يدعى الانتماء الى الاسلام والى القضاء الشرعي يجهله ولا يكتفي بالجهل بل يتعمد الالحاد في الدين الاسلامي ولا يستحي من الله والناس، ذلك هو الخزى في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى.

نظرية دوزي

وقال الاستاذ المستشرق الكبير (دوزى): بينما أهل اوروبا نائمون في ظلام الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوي من جانب الامة الاسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنم منها اهل اوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنونا عظيمة—وقال دوزى ايضا في كتابه (ملوك الطوائف) بصحيفة (٣٩٩): اننا نرى ان الاسلام قد انتشر بسرعة مدهشة بين تلك الشعوب التي غزوها وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلا من قبل، وهي تبدو لاول وهلة لغزاً مستسراً لا سبيل الى حله وتعليله لا سيا اذا عرفنا ان هذا الدين لم يكره أحدا على الدخول فيه،وقد كان محمد يأمر بالتسامح والاغضاء وقد وضع للمسلمين قاعدة الجزية وفرضها على كل من لم يدن به من اهل الكتب المنزلة من اليهود والنصارى، فمنحهم حريتهم الدينية على ان يدفعوا ما فرضه عليهم من الجزية وزاد في تسامحه فمنح هذه المزية لمن يقطن اقليم البحرين من المشركين —ثم قال: أضف الى هذا ان الحكم الاسلامي كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة لاسيا النصارى، فقد كان سواد المسيحيين في الشرق ينتمي الى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية واعناتها ما أرهق أصحابها ارهاقاً، فلما جاء الاسلام ومن طبيعته التسامح والاخاء ترك لهم الحرية التامة في البقاء على

دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الاديان، وظللهم بحمايته وسوى بينهم في الحقوق على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم، ولا تنسى انهم كانوا مضطرين الى دفع ضرائب فادحة للامبراطور الروماني، فلما جاء الاسلام أعفاهم منها ولم يفرض عليهم الاّ جزية معتدلة، لا ترهق أحداً. ومتى عرفت هذه الأسباب زالت دهشتك وعجبك من ايثارهم حكم المسلمين على حكم الرومان، واندفاعهم الى مساعدة العرب في فتوحاتهم بكل قلوبهم وقواهم، بدلا من مناوأتهم والتألب عليهم. واذا كان ذلك كذلك فما بالهم لا يبقون على دينهم؟ وأي شيء حفزهم الى الدخول في هذا الدين الجديد من غير أن يكرهوا على الدخول فيه. وهم يعلمون ان اسلامهم لا يرتاح اليه ملوكهم؟ لقد تضافرت عدة أسباب على الوصول الى هذه النتيجة وقد ألمعنا آنفاً الى ما يعود عليهم من الفائدة المادية اذا أسلموا لأن اعفاءهم من الجزية على اعتدالها كان مما يرغبهم في الاسلام، وأضف الى هذا ما يشعرون به من الكرامة الشخصية اذا أسلموا وأصبح لهم من الحقوق ما للمسلمين على ان اسلام المسيحي كان الخطوة الأولى الى الكرامة والشعور بالعزة، والزمن وحده كفيل بتحقيق ما يليها من الخطوات ولن يلبث ابن المسيحي ان يصبح مسلماً اصيلا يتمتع بكل ما يتمتع به العربي من عزة وكبرياء ــ ثم قال دوزى في صحيفة (٤٠٥) ــ: لو صح ما قاله القساوسة من ان محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره وما بال فتوحات اتباعه تترى ويتلو أحدها الآخر وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد؟ وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول؟ ولقد كانوا يعتقدون اول امرهم ان خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التي كانت تحدث لاقل مناسبة. وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ولكن انتظارهم تلك المعجزات قد طال وذهب صبرهم أدراج الرياح وعبثاً حاولوا وقوع هذه المعجزة. وأعجب من ذلك ان المعجزة ان لم نقل معجزات قد حدثت حقاً في ذلك العصر. وكانت معجزات أعظم مما كان

يتوهمه القديسون أنفسهم، واي معجزة أروع وأعجب من ان نرى شعباً كان الى زمن قليل في غيابة من الخمول ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لا مثل لها وهو يغزو الارجاء الفسيحة و ينتصر على قطر بعد قطر فتدين له البلاد بالطاعة والولاء وتقبل على دينه من كل حدب وصوب راضية غير مكرهة. ولو اننا عزونا اقبال المسيحيين على الاسلام الى الفائدة الشخصية او الرغبة في التخلص من الذل والضعة فنحن جديرون ان نقرر ان من الثابت المحقق ان كثيراً من المسيحيين دانوا بالاسلام عن عقيدة وايمان. ا هـ.

هذا ما قاله المستشرق (دوزى) عن دين الاسلام، وتسامح الاسلام وحضارة الاسلام، وتمدن الاسلام. وأبان عن جالة المسيحيين وكيف كان دخولهم في الاسلام طوعا باختيارهم بغير اكراه ولا اجبار رغبة منهم لكونهم وجدوه مهبط الرحمة، ومعدن الشفقة، ومأوى الحضارة الراقية وسبيل الخير والصراط المستقيم. وقد اعترف (دوزى) ايضاً بان القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في صحيفة (٣٩٨) بقوله: لا يفوتنا ان نذكر القارىء بأن القرآن هو كلام الله، وانه جعل الجواب على لسان نبيه محمد بقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا). انتهى، وكل ذلك كان من (دوزى) ليشرح لأمته المسيحية عن حالة الاسلام الحقيقية و يرد على القساوسة فر ياتهم التي اختلقوها على الدين الاسلامي تلك الاكاذيب التي لا تنطبق على الواقع، مع انه مسيحي مستشرق ولكنه يصرح بما ظهر له عن الدين الاسلامي، والامة العربية التي قامت بنشر الاسلام، و بث دعوته بين سائر الامم، واذاعت للملأ عموما ما جاء به الدين الحنيف من الهدى والصلاح والعدل والحر ية والمساواة بين طبقات البشر. والذي يوجب الأسف أن الملاحدة الذين ينتسبون الى الاسلام اسمياً ينكرون كل ذلك بكل وقاحة و بغير خجل لانهم لم يقفوا على شيء من حقائق الدين الاسلامي، ولن يقفوا لانهم في شغل شاغل لما هم فيه من التخبط في لجج الجهل والغباوة والارتباك والتشكيك.



نظرية الدكتورة فاليري

وقالت الدكتورة (لورافيتشا فاليري) الكاتبة الايطالية، في كتابها (محاسن الاسلام) صحيفة (٣): هدأت في أيامنا هذه نار الحقد والكراهية التي كانت تتأجج في صدور الباحثين من الاوربيين في الشؤون الاسلامية طول سنى القرون الوسطى، وفي جانب كبير من سنى العصر الحاضر، ولم يعد نبي العرب في نظر أحد ممن يتصدون لهذه الأبحاث، ذلك المستحق لأحدّ الشتائم وأقذع عبارات السباب، حيث ظهرت في العهد الأخير أبحاث ادعى أصحابها التزام جانب الحياد التام فيما كتبوه وزعموا انهم خالون من الغرض وسوء النية، الى أن قالت: ولما كانت النتائج التي وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها الغيرة الصادقة الواجبة، فهي لهذه الأسباب لا تصلح لأن تكون أساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشريعة السمحاء، اذ أن المستشرقين امثال (مو ير) و(اسبرنجر) والذين تلوهم أمثال (جولد زيهر) و(نولديكه) و(كاتياني) وغيرهم الذين سلكوا في النقد طرقا تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته، والى التأكيد في شيء كثير أو قليل من الوضوح بصحة استعداده بصورة لا تقبل الجدال لوحي عمدوا الى تفسير خفاياه، أما المتأخرون منهم فقد استخلصوا أصول كل عنصر من عناصر العقيدة الاسلامية وبحثوا ادوار نشوئها وارتقائها حتى وصلوا الى الاقتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون منزل من عند الله على لسان محمد

رسوله، ثم قالت في صحيفة (١٠): في بلد قفر بواد غير ذي زرع منعزل عن الانسانية المتمدنة، تفجر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد، ذلك الينبوع هو دين الاسلام الذي تدفق بغزارة واتخذ سبيله في الارض سربا فكان نهيراً، استحال بعده الى نهر عظيم، سرعان ما تفرعت منه آلاف الجداول والأنهار التي تغلغلت في البلاد طولا وعرضاً، ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من أمراضهم الاجتماعية، واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة في صدورهم وزالت من بينهم أسباب النفور والخلاف، استحال هذا الماء المقدس سيلا جارفا اكتسح بقوته الساحرة بلاداً عظيمة فثل عروشها وطوى مجدها طي السجل للكتب، لم يشهد التاريخ حادثاً مماثلا لهذا الحادث الخطير لأن السرعة العظيمة التي أتم بها الاسلام فتوحاته كان لها أبلغ الاثر في حياته، اذ انه بعد ان كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين، أصبح ديناً لعدة ملايين من الناس، وليت شعري كيف تأتى لهؤلاء المجاهدين غير المدربين أن ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة و يزيدون عليهم دربة ومراساً للحروب، وكيف استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الارجاء؟ وان يحتفظوا بفتوحاتهم هذه و يوطدوا هذا الصرح العظيم الذي ثبت امام حروب شديدة استمرت قرونا عديدة فلم تقو على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين؟ وكيف أمكن هذا الدين أن يوطد في نفوس أولئك المهتدين الحديثي الايمان أمتن الأسس؟ وكيف تسنى له أن يحتفظ بحيويته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة أخرى من قبل، حتى بعد ثلاثة عشر قرنا خلت بعد حياة مؤسسه؟ وكيف استطاع هذا الدين أن يغرس تلك الحماسة الدينية في نفوس أتباعه الجدد المختلفين عن أتباعه الأول في الجنس والثقافة فحذوا حذوهم في الاخلاص له والتضحية في سبيله؟ لعمرى ان هذا كله لمما يبعث في الانسان الشيء الكثير من الدهشة والذهول. ثم قالت: أفليس من أكبر معجزات هذا الدين الجديد أن يؤلف بين قلوب أقوام

كهؤلاء العرب عاشوا أجيالا عديدة في مخاصمات شديدة، وحروب أهلية مستمرة فعرفوا بفضله الاتحاد، والاخاء، والسلام؟ أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً في حكم الدولة الاسلامية الذين كانوا تراجمة ضميره فقد ساروا على سنته التي سنها لهم وحملوا راية الاسلام الى قلب القارة الآسيوية من جهة، والى أمواج المحيط الاطلسي من الجهة الأخرى لم تكن قد مضت سوى ست عشرة سنة عندما سقطت دولة الفرس في أيدي العرب بعد موقعة القادسية، مع أن هذه الامبراطورية ظلت مدى أجيال عديدة في عراك مستمر مع الامبراطورية الرومانية الشرقية دون أن تتغلب احداهما على الأخرى، أما ملك الفرس كسرى فقد هرب من العرب وجعل يلجأ الى اقليم بعد اقليم حتى بلغ حدود بلاده، ومات في سنة ٣١هجرية، وبذلك صارت امبراطورية الفرس بأجمعها بلاداً عربية. بعد أن زالت مدنيتا الدولتين الفارسية، والرومانية، وتهدمت ديانتاهما، سرى في عروق الشعوب تيار جديد، وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى العقل، والى القلب معا، كما ظهر نظام جديد للحكم يفضل كثيراً تلك النظم التي كانت متبعة هناك في ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخليقة القويمة، كذلك انتقل مال المجوس من خزائن الاشراف الى أيدي الفقراء وعامة الشعب، وأخذت تتناوله الأيدي مرة ثانية وتستفيد من ثمراته، وقد ظهر في الحكم رجال أذكياء مستنيرون أقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديمقراطية صحيحة، وقد تدرجوا في الحكم وتبوأوا أسمى المراكز، ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى وتعسف، بدأ عهد جديد عهد نجاح وثراء لم تره القارة الآسيوية منذ قرون بعيدة، كما أن المقهورين كانوا يجدون من حكامهم الجدد كل ضمان لطمأنينتهم ويتمتعون بكافة حقوقهم المشروعة كما أن أرواحهم وأملاكهم كانت مكفولة، وبالجملة كانوا يعاملون معاملة اخوانهم المسلمين سواء بسواء. أخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعي الديني السياسي يتساءلون عن سببه الأول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون، أو تعمدوا اغماض عيونهم فظلوا يتخبطون

طويلا في مجاهل الغلط والشطط ولم يدركوا أن القوة الالهية هي التي أعطت الاشارة الأولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق، ولم يشاؤوا أن يصدقوا أن الحكمة الالهية هي التي اقتضت أن يكون محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وسجلت له الى الآن رسالة عامة الى الناس أجمعين بغير تمييز بين جنس وجنس، أو بين بلد وبلد.

وهنـــا أخذت الدكتورة الايطالـــــية تذكر فريات المبشرين وبعض المستشرقين من الاوروبيين، وترد عليهم فرياتهم وتقص على القراء أخبار البعثة النبوية بمكة، والهجرة الى المدينة، ومعادات اليهود له صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وتسامحه وتغاضيه في كثير من الأشياء الى أن قالت: وكما كان النبي يعقد المعاهدات مع خصومه المغلوبين على أمرهم فكذلك فعل الخلفاء اذ كانوا كلما تمادوا في الظفر والانتصار يرتبطون مع المقهورين بأوثق المعاهدات ويتركون لهم الحرية في البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة في مقابل أداء فريضة هينة غاية في الاعتدال وهي (الجزية) التي كانت أقل بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة، وكان الخلفاء يشملون رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم أهل الذّمة بحماية ورعاية لا تقلان عما كان يتمتع به المسلمون، ولما كانت تعاليم النبي وخلفائه الأول تعتبر بمثابة قانون للمسلمين فانه يمكن القول بحق إن الاسلام لم يقتصر على التوصية بالتسامح، بل انه قد أدمجها في قانونه السماوي بحيث صارت قاعدة أصلية من أصول الدين، فعند ما كان يتم الصلح مع الشعب المقهور كان المسلمون يتركون له حرية الفكر وحرية العقيدة ولم يحاولوا حمله بالعنف على تغيير عقيدته الاولى كما انهم لم يرسلوا مع جنودهم الظافرة حملة من جماعات الوعاظ والمبشرين الرسميين اللجوجيين بقصد نشر الدين، الى أن قالت: حسبنا ما قدمناه من الأدلة والبراهين، لأن رجال الغرب أيضاً قد بدأوا يقتنعون بأن اخلاص محمد في دعوته كان أمراً لا ريب فيه، ولقد كان محمد كرسول يدعو الى الله، رجلا رحيما لين الجانب حتى لأعدائه الشخصيين، وبذلك اجتمعت

فيه فضيلتان كلتاهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشري وهما الرحمة والعدالة، ولا نرى بنا من حاجة الى ايراد الأمثلة على ذلك، فمن السهل الوقوف على كثير منها في الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته، وبحسب ان الحرب التي هي أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية، ولا يدمروا ما بها من اسباب الحياة ولا يمسوا الاشجار المثمرة والنخيل. ثم قالت: والآن وقد انتهينا من الرد على تلك التهم التي وجهت الى الاسلام في الغالب نضع هذا السؤال، كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والذيوع في افريقيا، وآسيا، رغم حرية الاعتقاد الكبيرة التي يتمتع بها غير المسلمين في البلاد الاسلامية، ورغما من عدم وجود نظام للدعاية الاسلامية، ورغما من الانصراف عن الاهتمام بالشؤون الدينية في هذه الايام الأخيرة وهو الآن لا يسبقه سيف الفاتحين، بل على النقيض من ذلك فان البلاد التي كانت ترفرف فوقها رايته أصبحت محكومة برجال ذوى عقائد أخرى ولم يستطيعوا مع ذلك أن يصرفوا رعاياهم عنه أو يقتلوه من قلوبهم، فأية قوة عجيبة تنطوي عليها هذه الديانة؟ وما هي قوة الاقناع التي تستند اليها؟ وفي أية عروق النفس البشرية نجد غذاءها وقوام حياتها؟ الى أن قالت في صحيفة (٥٠): ان الناس لتتلهف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ولا يكون قاصرا على ارضاء مشاعرهم واحساساتهم، ويريدون ان يكون هذا الدين وسيلة لامنهم وطمأنينتهم في الدنيا والآخرة، وليس هناك من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الاسلام، انه ليس مجرد دين فحسب، بل ان فيه حياة للناس، لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكر والكلام، ويحضهم على فعل الخير وصالح الاعمال، ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب والأفهام. اهـ

وقد تطرقت هذه الفتاة الفاضلة الى كثير من المسائل الخلافية الواقعة بين الاسلام والنصرانية واليهودية، ورجحت بالأدلة المنطقية والسياسية جانب

الدين الاسلامي، وقد اقتصرت على ما تقدم خشية الاطالة. ولا ادري اذا وقف الملاحدة على ابحاث هذه الفتاة الفاضلة ماذا يكون موقفهم؟ ايخجلون من جهلهم العميق؟ أم يتمادون في غباوتهم؟ والظاهر أنهم في غباوتهم يعمهون لانهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون.



نظرية داود أركوهات

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (داود اركوهات) انه قال: إن الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة، ولا يقول بانزال وحي جديد، وسنن جديدة، وليس فيه كهنوتية، أو معابد سياسية بل فيه دستور الامم ونظام الممالك اهـ.

وكان مراده الرد على المذاهب المسيحية التي قد حرفتها القساوسة من زمن بعيد، وأخرجت مذهب المسيح عليه السلام عن كل مانزل على عيسى من الانجيل الصحيح، وتصرفت فيه على حسب مرادها.



نظرية ليون روش

وجاء فيه ايضاً نقلا عن جريدة (اللواء المصرية) ما عربته عن كتاب بعنوان (ثلاثون عاما في الاسلام) ألفه موسيو (ليون روش) السياسي الفرنسي الذي اقام في بلاد المسلمين ثلاثين سنة، تعلم في اثنائها اللغة العربية وفنونها. وقرأ العلوم الاسلامية. وعاشر المسلمين في الجزائر وتونس والآستانة ومصر والحجاز. وقد اختبر بهذه المدة الطويلة أحوال المسلمين من سائر الطبقات، ولا شك انه قد اطلع على شيء من الكتب الاسلامية المدونة في العقائد والتشريع، واليك الجملة المعربة. قال موسيو ليون روش: اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلا لأدخل عند الامير عبدالقادر دسيسة من قبل فرنسا. وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقا تاما. واتخذني سكرتيراً، فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثير أفضل دين عرفته. فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعا فيه، بل انني عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كانها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذاً، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب. فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً. ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق. ولذلك

كان اقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين، ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً ــ الاولى ــ في قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهذه أجمل مبادىء الاشتراكية ــ الثانية ــ فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية.

هذا ما قاله الموسيو ليون روش الفرنسوي عن التشريع الاسلامي وما فيه من الحكم التي تزيل من المجتمع الانساني (الاشتراكية والفوضوية) غير أن ما قاله في مسألة الزكاة من كون التشريع الاسلامي يخول للفقراء حق أخذ الزكاة من الاغنياء غصباً اذا امتنعوا عن أدائها، لم يكن الامر في الاسلام كما قال، فان الشريعة الاسلامية لم تخول للفقير أن يأخذ الزكاة من الغني قهراً اذا امتنع عن دفعها له، وانما خولت ذلك للخليفة أو أمير المؤمنين، أو السلطان، كما عمل الخليفة الاول ابوبكر الصديق رضي الله عنه في قتال من امتنع عن الزكاة.

ثم قال الموسيو (ليون روش) عن الدين الاسلامي اجمالا: انه دين المحامد والفضائل، ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ولكن وجد بينهم وياللأسف شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله ويدخلون فيه ما ليس منه. الى آخر كلامه.

هذا ما يقوله ليون روش عن محاسن الاسلام، وقد صدق في قوله: لو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم. وقوله: وياللأسف وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه، الخ. فان الدين الاسلامي أصيب بكثير من المصائب الداخلية والخارجية. وكانت مصائبه الداخلية أشد وأشنع وأفظع من مصائبه الخارجية. وذلك قد دخل على الدين الاسلامي بعد عصر الخلفاء الراشدين كثير من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة من معتزلة وروافض ودهريين والحاديين

ومشككين ودجالين ومشعوذين وقصاصين خرافيين، وأخذ هذا الحال يتطور بحسب تطور الازمان و يتسع نطاقه الى هذا العصر الذي أصبح معظم المسلمين فيه بعيدين عن التمسك بأساس الدين الاسلامي الصحيح الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، حيث قد كثر التفرنج في المنتسبين اليه وطغى سيل الالحاد والتشكيك حتى كاد يجترف معظم الشبيبة الاسلامية، بسبب أن اكثر اساتذة المدارس في البلاد الاسلامية المستعمرة الحاديون و يزعمون انهم من المسلمين لكون آبائهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء المسلمين، وما نسبتهم الى الاسلام الا خدعة لاغراء آباء التلامذة، والا فهم من أذناب المبشرين وقد ساعدتهم الظروف حال غفلة المصلحين من المسلمين وجهل آباء التلامذة الذين رمتهم الاقدار في تلك المدارس التي قد تربع على كراسي التدريس فيها وفي الاندية والمجتمعات أناس لم يدخل الايمان في قلوبهم من أصل نشأتهم وان سموا انفسهم بأسماء المسلمين، واخذوا يلقون على مسامع تلك الناشئة الاسلامية صنوف الالحاد، والتشكيك، والطعن في القرآن المجيد، والتشنيع على التشريع الاسلامي والحط من كرامة رجال العلم والاصلاح، أولئك الذين هم سلف الامة الاسلامية الصالح، و يشككونهم في صحة كتب الاسلام التي دبَّجها يراع فطاحل العلماء الأمجاد الذين قد ضحوا بحياتهم في خدمة الاسلام والمسلمين، و يرمون مؤلفيها بالجمود والرجعية والغفلة والوهم والجهل والغباوة، وان عموم ما دونوه حديث خرافة لا أصل له، مع انهم هم بذلك أجدر، وأصبح و ياللأسف أن هؤلاء المردة اخوان الشياطين هم أكثر عدداً في العصر الحاضر من رجال الاصلاح في كثير من البلاد الاسلامية وبالاخص في البلاد المستعمرة، وصار رجال الاصلاح مكتوفي الايدي، مكمومي الافواه، لا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة الا وقد تكالب عليهم رجال الاستعمار، والتبشير، وفي مقدمتهم الملاحدة المنتسبون الى الاسلام خدعة، ومن ورائهم آباء التلاميذ أولئك الذين لا يعرفون من الاسلام غير اسمه، لان غايتهم من تعليم أبنائهم في تلك المدارس هو حب الشهرة وكون أبناءهم يخرج أحدهم من المدرسة وهو يحمل تحت ابطه شهادة مهندس،

أو محام، أو كيماوي، ولو فقد في سبيل ذلك دينه وجامعته الاسلامية، حيث لا يهم ذلك الأب الغبي من أمر دينه شيء لجهله بالدين وما جاء به سيد المرسلين من عند رب العزة من الهدى ودين الحق وربما كان ظنه على ان الدين الاسلامي هو عبارة عن الجنسية الاسلامية فقط. والذي جعل الأبناء بهذه الصفة من الجهل هو اهمال آبائهم وولاة أمرهم لهم لكونهم لم يعلموهم على الاقل مبادىء الدين الحنيف، أليس من الخجل أن يكون الموسيو (ليون روش) عرف ذلك وكثير من المسلمين يجهلونه، هذا ما دعاني الى التعليق على كلامه، والله الهادي الى صراطه المستقيم.



نظرية روبرتسون

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (رو بر تسون) المؤرخ الانكليزي الشهير بصحيفة (٦١) ما خلاصته: في الزمن الذي كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم و ينشرونها في بلادهم كانت اهالي أورو با في حالة لازالوا هم ذواتهم يندبونها حتى اليوم، ولم يستفيقوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق الا بواسطة شروعهم في تلك الغزوات الصليبية الوحشية التي أجروها ضد المسلمين بقصد استخلاص البلاد المقدسة من أيديهم، وحيث مروا في غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد أورشليم بأرض نضيرة اكثر من أراضيهم و بدول متمدنة اكثر من دولهم، ووجدوا في آسيا آثار تلك العلوم والفنون التي كان أسسها واعان على تحصيلها الخلفاء العباسيون **ا هـ.**

فهذا الاستاذ **(روبرتسون)** الانكليزي يصرح بأن غزوات أورو با للمسلمين في فلسطين كانت وحشية، وان تمدن الاسلام كان أفضل من تمدن أورو با، وان عمران المسلمين كان ابهى وأجمل من عمران أورو با، فعسى بعد هذا أن يخجل الملاحدة ومن على شاكلتهم مما هم فيه و يتركوا التشنيع الباطل الذي يختلقونه ضد الاسلام والمسلمين.

نظريّة لوثروب

وقد ذكر (لوثروب ستودارد) الامر يكي في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) في المقدمة عن الاسلام ما خلاصته قال: كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الاعجب الذي دون في تاريخ الانسان، ظهر الاسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان، وبلاد منحطة الشأن، فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الارض، ممزقا ممالك عالية الذرى مترامية الاطراف، وهادما أديانا قديمة كرّت عليها الحقب والاجيال، ومغيراً ما بنفوس الامم اوالاقوام، وبانياً عالماً حديثاً متراص الاركان، هو عالم الاسلام، الاسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية تجوب فيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة في التاريخ، فلسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته في جهات الارض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات، دون أن يكون له من الامم الاخرى عون يذكر ولا ازر مشدود، وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الاسلام نصراً مبيناً عجيباً، اذ لم يكد يمضي على ظهوره اكثر من قرنين حتى باتت راية الاسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحاري اواسط آسيا حتى صحاري اواسط أفريقية.
كان لنصر الاسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، اكبرها أخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة وشريعته، والحالة العامة التي كان عليها المشرق المعاصر في ذلك العهد. ان العرب وان كان ماضيهم ما برح منذ عهد متطاول في القدم حتى عصر الرسالة ماضياً غير مشرق باهر، فقد كانوا

أمة استودعت فيها قوة عجيبة، تلك القوة الكامنة التي بدأت منذ نشوء الاسلام تظهر جلية الى عالم الوجود، فقد ظلت بلاد العرب اجيالا طوالا من قبل محمد مباءة يشتد فيها تزخار القوى الحيوية، وجيشان العوامل الروحانية كيف لا وكان العرب قد فاقوا آباءهم وأجدادهم ايغالا في الشرك والوثنية وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بقعل غرائزهم وأخلاقهم الى تبديل حالهم وتحسين شأنهم. هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب العظيم والاستجداد الكبير، لمّا صاح فيهم نفير الاسلام أن محمداً وهو عربي من العرب، الآ(١) روح قومه متجسدة ونفسهم متجسمة، استطاع محمد وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عاريا عن زخارف الطقوس والاباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية، وهي الغيرة الكامنة متمكنة على الدوام في كل شعب من الشعوب السامية، واذهبّ العرب لنصرة دعوة ابن عبدالله من بعدما ذهبت من صدورهم الاحن المزمنة والعداوات الشديدة التي كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم، وانضم بعضهم الى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة في رأسه نور للناس وهدى للعالمين. اخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم في شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الاله الاحد، الفرد، الصمد، ثم ذكر هنا ما كانت عليه فارس والروم من الانحطاط الاخلاقي والديني الى أن قال ـ: ولم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الاعظم من هذه الامم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي أفواجا، ايثاراً له بجدته وسذاجته على ذينك الدينين اللذين صارا غاية في الانحطاط والتدني. وقد عرف العرب بدورهم كيف يستدني الحكم و يوثق السلطان حتى دانت لهم أمور الملك واستقرت نقطة دائرتها في أيديهم، فالعرب لم يكونوا قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير بل كانوا على الضد من ذلك، أمة موهوبة جليلة الاخلاق والسجايا تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب.

(١) هكذا وجدت هذه الجملة بهذه الألفاظ.

وقد اتى (لوثروب) على حالة تضعضع الاسلام بعد شموخه. وعن الاسباب التي دعت الى ذلك بحسب ما ظهر له وعن حالة الاسلام في العصر الحاضر وحيث لم يكن ذلك من بحثنا في هذا الكتاب فقد اكتفينا بما تقدم ذكره، ومنه يتضح للقارىء اعترافه بأن دين الاسلام هو دين العدل والحرية والحضارة والمدنية والتقدم والرحمة والشفقة.

وجاء في كتاب (الاسلام في عصر العلم) للاستاذ فريد وجدى في الجزء الاول بصحيفة (٢٧٧) عن المؤرخ (دروى) احد وزراء فرنسا السابقين انه قال: بينما أهل اوروبا تائهون في دجى الجهالة لايرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوي من جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة، وسمرقند، ودمشق، والقيروان، وبصرى، وفارس، وغرناطة، وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنم منها اهل اوروبا في القرون المتوسطة صناعات وفنونا.

نقل المؤرخ (سيديو) عن (هومبلد) ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنتشرة من شواطىء الفرات الى الوادي الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن فتناولتها تلك الامم على ايديهم، لان لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم اثرت في الدنيا تأثيراً لا يشبه بغيره ـ ثم قال ـ: وهذه حجة على انهم كما قال غيرنا ونحن نعترف به (اساتذتنا ومعلمونا)اهـ، وهذا اعتراف منه صريح بأن العرب يعني المسلمين هم اساتذتهم ومعلموهم، والمعترف هذا وزير من وزراء فرنسا كما ذكرناه.

نظرية الأستاذ درابر

وجاء فيه ايضاً عن الاستاذ (درابر) استاذ كلية (نيو يورك) بأمر يكا بصحيفة (٢٧٨) انه قال: ان اقوى واكبر الممالك الدينية التي لم ير العالم مثلها قد ولدت فجأة، وامتدت من المحيط الأطلنطي الى اسوار الصين، ومع ذلك فلم تك قد بلغت نهاية ما قدر لها من الامتداد والنفوذ، فلقد اتى عليها بعد ذلك حين من الدهر طردت فيه خلفاء القياصرة وملكت بلاد اليونان، ونازعت النصرانية السلطة على اوروبا، ونشرت نفوذ عقائدها خلال الصحارى الوحشة، والغابات الموبوءة، من اول شواطىء البحر الابيض الى خط الاستواء، لقد طافوا (اي العرب) معاهد الفلسفة والعلم بسرعة تشبه السرعة التي طافوا بها مملكة الرومان، انا لتاخذنا الدهشة أحيانا لما نصادف في كتبهم آراء علمية كنا نظنها نشأت في هذا القرن، من هذا القبيل مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية فقد كان يدرس في مدارسهم .

وقال الاستاذ (درابر) عن مدنية الاسلام، والامة العربية: ان خلفاء الاندلس كانوا محاطين بأنواع الأبهة التي هي من لوازم الحياة الشرقية، وكان لهم قصور عامرة، وحدائق زاهرة، وسرايات (اي قصور) يعمرها الجلالة والجمال، وان اوروبا الحالية (اي في حالتها العصرية) لا تعلو في حسن الذوق والرقة والظرف في شيء من أشيائها عما كان في العواصم، مضاءة بالليل، مبلطة تبليطاً متقناً، وكانت البيوت مفروشة بالبسط ومزينة حوائطها بالنقوش، وكانت تسخن في الشتاء بالمدافىء، وترطب في الصيف بتيارات

من النسمات العطرة تصل اليها من سراديب تحت الارض مغطاة فوهتها بالأزهار الزكية، وكان لهم حمامات ومكاتب، ومحلات للغذاء، وفوارات للمياه والزئبق، وكانت المدائن والارياف حافلة بالاحتفالات والرقص الذي كانوا يأتونه على نغمة (العود) و(المزهر) وكان شعار العرب في ملاعبهم القناعة وطلاقة النفس، بخلاف جيرانهم الغربيين فقد كان ديدنهم النهم في الاكل والادمان للسكر، وكان الخمر حراما عليهم لا يقربونه، وكانوا يتمشون في حدائقهم في الليالي القمرية وفي غياضهم المنعزلة المزروعة برتقالا، وهم يصغون الى قصة ادبية او يتحاورون في بعض المواضيع الفلسفية، مسلين أنفسهم عن أحزان الدنيا بقولهم: انها لو كانت خالصة من شوب الآلام لانستنا الحياة الآخرة، وراضين بالكد والتعب في المعيشة الارضية املا في نوال الرحمة الاخروية الدائمة.

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٠٦) عن الاستاذ (درابر) ايضاً انه قال: سلك العرب الى اوروبا المسلك نفسه الذي سلكته ادبياتهم، وطريق جزيرة صقلية، ومما ساعد على انتشاره في اوروبا اعتزال البابوات، فلهذا السبب يتمكن العلم العربي من ترسيخ قدميه في جنوب ايطاليا ــ الى ان قال ــ: واول مدرسة انشئت للطب في اوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بالروم) من ايطاليا، واول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون في اشبيلية باسبانيا ــ ثم قال ــ: ولو اردنا ان نستقصى كل نتائج هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً، وأوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم ــ ثم قال ــ: ان اوروبا في ذلك العهد كانت غاصة بالغابات الكثيفة من اهمال الناس للزراعة، وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن فكانت تنتشر منها روائح قتالة اجتاحت الناس واكلتهم، ولا مغيث لهم وكانت البيوت في (باريس) و(لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب، ولم يكن فيها نوافذ ولا ارضيات خشبية، اما الابسطة فكانت مجهولة لديهم،

وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الارض نشراً، ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له في السقف، فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة، وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ امام بيوتهم اكواما اكواما، تتصاعد منها روائح قاتلة، ولا رقيب ولا حسيب وكانت الاسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات المنزلية، وكان السر ير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمخدة، وكانت النظافة معدومة لديهم لا يعرفون لها رسما، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا كل اسبوع مرة، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح. هذه الجهالة كان من اثرها على اوروبا ان عمتها الخرافات والاوهام، فانحصر التداوى في ز يارة الاماكن المقدسة، ومات الطب واحييت احابيل الدجالين. وقد كان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ولم يلتفتوا لامر النظافة، فكانت تفتك بهم الأوباء فتكا ذر يعاً، حتى انها زارت اوروبا عدة مرات فاجتاحت الملايين من اهلها في ايام معدودة وقد كان الموت في اوروبا في هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشر ين فصار اليوم واحد الى اربعين — ثم قال —: لم تكن أوروبا العصر ية بأعلى ذوقاً ولا أرقى مدنية ولا ألطف رونقاً من عواصم الاندلس على عهد العرب.

ثم اخذ الاستاذ (درابر) يصف مدنية العرب بالاندلس من عموم نواحيها بصفات لا نظير لها في أوروبا اليوم. وكل ما ذكرته من قوله المتقدم هو صورة مصغرة عن حالة أوروبا في همجيتها التي كانت عليها في العصور التي كان الاسلام فيها سيد العالم والامم. وقد أسهب غيره من الاوروباو يين والامر يكان في مدنية الاسلام وحضارته وعمرانه فتركت نقله خشية الاطالة لان ذلك معلوم عند كل باحث ومزاول لقراءة التار يخ ولا يجهله الا كل غبي أحمق.

وقال الاستاذ (درابر) ايضاً عن المكاتب العمومية بالاندلس: ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل أن يتصلوا الى تكوين المكاتب التي تكلمت عنها. وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس على ستمائة ألف مجلد، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة في اربعة واربعين مجلداً، وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة، وكثير من المكاتب الخاصة، واما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة اساتذة الجامعة ان يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه. ولقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والتشريع والسياسة والفلسفة والتراجم وتراجم الخيول والابل. وكل هذه المؤلفات كانت تنشر دون رقابة ولا حجر. وقد كانت الكتب زاخرة بالمعلومات التي تصلح لان تتخذ مادة كثيرة جداً في الجغرافيا والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة. وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد ابو عبدالله. وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض وفي اعطاء المداد الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من المداد والابداع في تنميقها وتذهيبها على صور شتى. وكان الملك الاسلامي العربي يغص بالمدارس والمكتبات وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها. وكان في طرف من اطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيراً (مرصد) في سمرقند لرصد الكواكب. وكان يقابله في الطرف الآخر (مرصد) جيراك في الاندلس.

ثم قال الاستاذ (درابر): ولو أردنا ان نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب. فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم. والفلكيون من العرب قد اهتموا ايضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها. وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية. وهم اول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض. اما في العلوم

(التجريبية) فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من محللاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و(حمض النتريك) و(الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء في الطب، لانهم اول من نشر علم تحضير العلاجات و(الأقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية أما في علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة، اما في (الايدروستاتيك) فقد كانوا اول من عمل الجداول المبنية لضروب الاوزان النوعية، وكتبوا ابحاثا في الاجسام السابحة، والغائصة تحت الماء، اما في نظريات (الضوء والابصار) فقد غيروا الرأي اليوناني الذي مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئي، وقالوا بعكس ذلك اي ان الابصار يحصل بوصول شعاع من المرئى الى العين، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الاشعة وانكسارها، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذي يأخذه الشعاع فى سيره في الجو، وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرا حقيقة في الافق، وكذلك نراهما في الغروب بعد ان يغيبا بقليل.

ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم، فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد، وتربية الحيوانات، وسن النظامات الزراعية الحكيمة، وادخال زراعة الارز والسكر والبن، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها، واننا لندهش حين نرى في مولفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر، من ذلك ان مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهبا حديثاً كان يدرس في مدارسهم، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى ابعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن ايضاً اهـ .

هذا بعض ما حدث به استاذ كلية نيويورك بامريكا (درابر) عن مدنية الاسلام، وحضارة الاسلام، وفنون الاسلام، ومخترعات الاسلام، وفلسفة الاسلام، ومصنوعات الاسلام، وان المسلمين هم اول من وضع الرصد

للافلاك، واخترعوا الكيمياء، وان العرب هم الذين أسسوا في مدن أوروبا الحضارة والصناعة، وكل دواعي المدنية والعمران وان اول مدرسة أنشئت في أوروبا للطب كانت التي أسسها العرب، وأول مرصد أقيم في أوروبا ايضاً أقامه العرب. وكان حديثه منحصراً في الحضارة الاسلامية من الوجهة الفنية، والظاهر ان بحثه كان على حسب ذوقه حيث انه لم ينظر الى الاسلام من الوجهة الدينية، كما نظر اليها الكونت هنري دي كسترى، والاستاذ كارليل وغيرهما وانما اراد ان يظهر للعالم الغربي ان مدنية العرب التي وصفها جاءتهم عن طريق دينهم الاسلامي وارشاده لهم بالتفكر والعمل في عموم مواد الحياة الاجتماعية والعمرانية، مع ان كثيراً من المسلمين يجهلون تلك الحضارة العظيمة، والمدنية الضخمة التي اصبحت محل اعجاب الاستاذ (درابر) وغيره، ومن المؤسف ان كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يظن ان كل شيء وجد في الدنيا كان من نتائج اعمال الغرب وحضارة اهله، مع ان الحقيقة غير ذلك، وانما بسبب تقاعد المسلمين عن واجبهم الاجتماعي والعمراني في العصر الحاضر جعل أمثال هؤلاء الجهلاء بتاريخ الاسلام، وعمران الاسلام، ومخترعات أبطال الاسلام، يظنون ان كل حضارة وعمران هو من مبتكرات الغرب، وهذا الذي دعاني الى الاستشهاد بأقوال عظماء الغرب وفي مقدمتهم الاستاذ (درابر) حيث انه قد تتبع في ابحاثه علوم الاسلام الفنية وبالاخص ما كان من الأمة العربية التي كانت قبل اعتناقها للدين الاسلامي أقل عمرانا وتمدنا من فارس، والروم، واليونان، ثم لما اعتنقت الاسلام وسارت على تعاليمه أصبحت بعد برهة من الزمن أرقى الأمم المعاصرة لها ثم تقدمت تقدما مدهشاً حتى صارت هى المؤسسة لمعظم الفنون التي وصلت الينا في العصر الحاضر عن طريق الغرب، وكل ذلك كان بارشادات الدين الاسلامي الذي كان يحثهم على السير في الأرض، والعمل بكل ما فيه خيرا الدنيا والآخرة، وذلك فائض في القرآن المجيد في كثير من آياته بقوله تعالى (قل سيروا في الأرض) وقوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهذه الآية تشير الى ما يعبر عنه في العصر الحاضر (بعلم النفس) وقوله تعالى (أولم ينظروا في

ملكوت السماوات والأرض) وقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وهذه الآية تشير الى علم الفلك وغير ذلك من الآيات البينات المحرضة على العمل٠

فهل ـــ والحالة هذه ـــ يعتبر الدين الاسلامي عقبة كؤوداً في سبيل تقدم العالم الاسلامي في العلوم والمعارف كما يزعم اعداء الاسلام؟ فلا وربك لم يكن الاسلام عقبة في سبيل تقدم المسلمين في العصر الحاضر، وانما المسلمون هم العقبة على أنفسهم وهم الذين تقاعدوا في العصر الحاضر عن دراسة ما فيه صلاحهم الدنيوي والأخروي، فتكاسلهم وتقاعدهم عن القيام بالواجب الديني هو الذي جعلهم مستعبدين للغرب واذلاء في أوطانهم، وجهلاء بمصيرهم٠ فلا حول ولا قوة الا بالله٠



نظرية الأستاذ سنكس

وجاء في كتاب (الاسلام في عصر العلم) بصحيفة (٣٦٨) ان الاستاذ (سنكس) كتب في مجلته الروحية مقالا عنوانه (محمد) صلى الله عليه وسلم وهو: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبارجاعها الى الاعتقاد باله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة ــ ثم قال ــ: ان الديانة الاسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً في الفكرة الدينية في العالم، وخلصت العقل الانساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان ذوى الصبغ الدينية المختلفة، نعم ارتقى العقل بواسطة الاسلام للاعتقاد بحياة أخروية، وهذه العقيدة هى الوازع الأقوى في محاولات الانسان المادة، والى الاخبات لاله واحد يستطيع ان يعبده بنفسه دون مداخلة أحد بينه وبينه، وان يرتقى في مصاعد كرامته الى مجال أنواره دون وساطة الوسطاء، ولا شفاعة الشافعين من بني جنسه، ولقد توصل محمد بمحوه كل صورة في المعابد، وابطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق، والى تخليص الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة التي كانت من لوازم الفكر البشري في القرون الخالية، واجبر النوع الانساني بتأثير هذه التعاليم لأن يرجع الى نفسه ويبحث عن الله تعالى خالقه في أعماق روحه وصميم سره. ليستطيع أن يرتفع بهذه العقيدة النقية اليه تعالى بواسطة العبادة القلبية المملوءة احتراما وشكراً ومحبة،

ولقد قصر الناس في الالتفات الى ذلك الرقي الأدبي الباهر الذي تم بواسطة الديانة الاسلامية، وقد حصل هذا الرقي بعيداً عنا لدى شعوب يسهل علينا وصفهم بالمتوحشين ظلماً بمجرد كونهم لا يخضعون لأفكارنا، ولا يقولون بعقائدنا، ولأنهم أحط منا في العلم والفكر، ولكن مع كل هذا يجب علينا ان نعترف بأن هذه الحركة الدينية قد رقت ولم تزل ترقى الى اليوم عقول أمم شتى من سكان هذه المعمورة، أما الاسلام في ذاته فهو في نظرنا اليوم على شرط تخليصه من كل التعاليم التي ألصقتها به الشعوب الطفلة، ومن كل الشروح الباطلة التى شرحت بها أقوال النبي (محمد صلى الله عليه وسلم). اكبر وأعظم ما يدركه الانسان من معنى الدين وتعاليمه في العلاقات التي يجب ان تكون بين الانسان وخالقه هي اكثر التعاليم انطباقا على نواميس الطبيعة وقوانين العقل الانساني.

هذا ما قاله الاستاذ (سنكس) عن الدين الاسلامي وكونه هو الذي رقى عقول البشر وانتشلها من القيود الثقيلة التي كانت مأسورة بها حول الهياكل، ومن قوله المتقدم يعلم انه قد رجح العقائد الاسلامية التي هي عقيدة السلف الصالح، وبعبارة اوضح العقيدة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، قبل ان تدخلها بعض آراء المعتزلة، والمشبهة واهل البدع والخرافات، حيث هي العقيدة التي خلصت البشر من الواسطة او الوسطاء بين المخلوق والخالق، وبها قد خلص النبي صلى الله عليه وسلم الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة. وقد جاء ذلك صريحاً في القرآن المجيد في قوله تعالى: (واذا سألك عبادي عني فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وقوله تعالى: (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الواسطة بين العبد وربه. ومن المؤسف المبكي ان هذا المستشرق عرف ذلك، ورجح العقائد الاسلامية الصحيحة على العقائد المسيحية مع انه مسيحي المذهب، وان كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يجهلها ويعتقد خلافها. ويظهر مما تقدم ان الاستاذ (سنكس) استنتج مقاله هذا

من مذهب استحضار الارواح بعد ان طالع بعض كتب العقائد الاسلامية، ودرس شيئاً عن البعث والنشور، والحياة البرزخية والحياة الأخروية الأبدية. وهذا العلم الذي هو استحضار الأرواح قد غير كثيراً من عقائد الماديين والطبيعيين في أوروبا وأمريكا، وجعلهم يفكرون في خالق الأرواح، والروح نفسها، وكيف بقاؤها في عالم الوجود، مع انهم الى الآن لم يستطيعوا ان يصلوا الى كشف حقيقة الروح كشفاً فنيا، ولما اعيتهم الحيلة وأصبحوا مكتوفي الأيدي امام سر الروح بعد ان استعملوا عموم الطرق المادية وفحصوا نظريات علمائهم في سر الروح، حيث كلما بنوا بحثهم على نظرية من تلك النظريات ظهر لهم فسادها، أخذوا يدرسون سر الروح في الكتب المقدسة ولم يجدوا بغيتهم الاّ في القرآن المجيد الذي هو كتاب الله المنزل على نبيه العربي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) فعلموا ان الوصول الى معرفة حقيقة الروح أمر مستحيل على البشر. فهذا الذي جعل المفكرين منهم يعتقدون بوحدانية الله تعالى وانه الخالق والموجد لهذا العالم الكبير، وان المادة والطبيعة، هما من مخلوقات الله تعالى وكذلك توصلوا بعد البحث فيما جاء به القرآن المجيد أن هناك أشياء لم يصل العلم الحديث الى حلها، مثل الملائكة والجن والشياطين، وغير ذلك من المخلوقات التي لا تدركها الحواس الخمس، ولا يمكن الوقوف على كنهها الا عن طريق الوحي. وهذا ليس له طريق غير طريق الدين الاسلامي، وما حدث به نبي الاسلام، لانه هو الدين الوحيد الذي فيه صفة الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تأويل، وهو الذي حدثنا عن بقاء الارواح، وعدم فنائها، وانها بعد مفارقة الاجساد تكون على حالتين اما نعيم مقيم، او عذاب مخلد، وذلك بقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) والمراد هنا بالحياة هي حياة الروح البرزخية، كما قال صلى الله عليه وسلم عن أرواح الشهداء انها في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة.

نظرية جول لابوم

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (٩٥) عن الموسيو (جول لابوم) انه قال: لاجل ان يفهم الانسان تمام الفهم اي دعوة من الدعوات يلزمه اولا الالمام بحال الداعي في ذاته، ولاجل ان يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التي وجه همته للتأثير فيها، هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التي خصصنا بها المشرع العربي —يريد النبي صلى الله عليه وسلم— مؤسس ما يمكن تسميته (بالجامعة الاسلامية) حوالى ميلاد محمد في القرن السادس الميلادي كان جو العالم ملبداً بغيوم الاضطرابات والفتن، فكان شعب (الويزيغو) الآريين في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصاولون الملك (كلوفيس) وأولاده الكاثوليكيين فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو (جوستنيان) ثم أجبروا على الدخول معه في حرب جديدة، تخلصاً من سلطة القواد الذين جاؤوهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين، لا مجرد ولاء المساعدين المنجدين. اما في فرنسا نفسها فكان أولاد كلوفيس هذا متغادرين متسافكين، وكانت الحروب التي شبت بين الملكة الويزيغوتية (برنهو) والملكة الفرنكية (فريد بجونه) تهيء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للأسى والكمد. اما في (انجلترا) فكان الانجلو ينازعون الساكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيمريس) وهم أقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة، وهى التي كانت في

ذلك مجالا للقوة والوحشية السائدة في تلك الغياهب الحالكة. أما في (ايطاليا) فكان اسم (الرومان) وهو ذلك الاسم الشامخ، قد فقد القيمة القديمة، وكانت رومية وهي الشظية الاخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المنهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تململها من استحالة أمرها الى مركز ديني بسيط ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة ايام كانت مركزاً دينياً أصلياً، فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية، وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة (سالماني) ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان. اما المملكة (اليونانية) فكانت قد نسيت مجدها القديم فصارت تابعة لمملكة الرومانيين الشرقية، مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء. وكان شرق أوروبا مقلقاً جنوبها من أول مصاب نهر الرين من جهة الشرق.

واخذ الموسيو (جول لابوم) يصف الاضطرابات، والاختلالات السياسية والادارية والاجتماعية، في أوروبا وآسيا وافريقية، وفي جزيرة العرب، بحالة وحشية فظيعة الى ان قال: في عهد هذه الاحوال الحالكة، وفي وسط هذا الجيل الشديد الوطأة، ولد محمدبن عبدالله في ٢٩ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية. اهـ.

هذا ما قاله الموسيو (جول لابوم) عن الاضطرابات والقلاقل التي كانت مستحوذة على العالم أجمع في ذلك العهد وفي نهاية حديثه قال: ولد محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر شيئاً عن نبي الاسلام، ولا دين الاسلام، ولا كتاب الاسلام الذي هو القرآن، ولا عن حضارة الاسلام، ولا مدنية الاسلام ولا عن العمران الذي قام به الاسلام في القارات الثلاث. وربما هنا يعجب القارىء من نقلنا لحديث الموسيو (جول لابوم) الخالي عن وصف الاسلام بشيء مما وصفه به غيره من المستشرقين الذين قد نقلنا شيئاً من نظرياتهم في الاسلام بهذا الكتاب. فالذي دعاني الى نقل حديثه ما ظهر لي انه قصد من ذكره لتلك الاضطرابات والاختلالات ان يظهر لاهل

العصر الحاضر الذين يجهلون حالة العالم والممالك التي كانت في ذلك العصر الذي وجد فيه نبينا محمد صلّى الله عليه وسلم من الاختلال، وان وجود النبي العربي محمد صلّى الله عليه وسلم في ذلك الحال كان من لطف الله تعالى على ذلك العالم المضطرب الذي قد اعتورته الفوضى من جميع انحائه، فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ليصلح ذلك الفساد، ويزيل الفوضى من وجه الارض، ويقودهم بنظام رب العزة جل وعلا، ليخرجهم من الظلمات الى النور. وهذا مما يثبت قولنا من ان النبي محمداً صلّى الله عليه وسلم هو الذي جاء بنظام العالم والامم، وبالمدنية الراقية النقية من كل خلاعة، ودعارة، وفوضى، وتعسف، وغطرسة في الوقت الذي كانت حاجة العالم الى ذلك النبي الكريم شديدة لينقذهم من جحيم الفوضى، حيث لا نظم عادلة، ولا تشريع يؤثر، فكان الامر كما ذكرنا والحال كما وصفنا، ولم ينكر ذلك الا من أعمى الله بصره وبصيرته.





نظرية الأستاذ جيبون

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٥٨) نقلا عن الاستاذ (جيبون) المؤرخ الانكليزي المشهور عند ذكره الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم انه قال: كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند، وبخارى، الى فارس، وقرطبة، ويروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائة ألف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد، ووقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا، وكان عدد طلبتها ستة آلاف، لا فرق فيهم بين غني وفقير.

هذا ما قاله الاستاذ (جيبون) عن تقدم العلم والتعليم في حالة يقظة المسلمين في العصور المتقدمة، وذلك كان عن سخاء الاسخياء ممن كان ذا مال وجاه، وقد حدثنا التاريخ بأعظم مما ذكره الاستاذ (جيبون) عندما كان المسلمون يجودون بسخاء على المشروعات العلمية، ومن المؤسف المبكي ان الامر صار في العصر الحاضر على عكس ما كان في تلك العصور المنيرة بأهلها، والمستنيرة بأبطالها، وأصبح ذلك العمل المجيد حكاية يتلذذ المسلم من سماعها، ولا نرى من أغنياء المسلمين في العصر الحاضر من تأخذه الاريحية بنشر العلم والمعارف في الاقطار الاسلامية اللهم إلا بنسبة واحد في المليون من المسلمين وهذا ناتج عن تأخر المسلمين في عموم حالاتهم الدينية والدنيوية والاخروية، ولو ان كل فرد من أغنياء الاسلام في العصر الحاضر فكر في نشر العلم وجاد في سبيل ذلك بنسبة واحد من مائة من أصل ثروته، لانتشر

العلم، وعم القاصي والداني، وزال الجهل، واصبح كل فرد من افراد المسلمين خصوصاً ممن استفاد من ذلك العلم اما لنفسه، او لابنه، لسان شكر وثناء، وتخلد ذكر ذلك المحسن طيلة بقاء الدنيا، وله في الآخرة الجزاء الاوفر، كما قال تعالى في سورة (الليل): (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) واما الذين يضنون بالمال الفائض عن لوازمهم الضرورية فقد قال تعالى في حقهم: (واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى).



نظرية نابليون

وجاء في كتاب (لماذا تأخر المسلمون) للأمير شكيب أرسلان بصحيفة (٨٢): وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سنتيهلانة:(ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لاغير) ١هـ.

فهذه شهادة من امبراطور فرنسا، بل امبراطور نصف اوروبا، والقائد العظيم الذي لم تعرف أوروبا قائداً قبله كان أعظم منه، مع ان الجيوش التي فتح بها العرب الدنيا في نصف قرن لم تبلغ عشر معشار تلك الجيوش التي قادها نابليون بونابرت في تدويخ أوروبا. وذلك لأن أسباب النصر لم تكن منحصرة في كثرة الجيش أو قلته، بل ان السبب الوحيد الذي جعل العرب تفتح الدنيا في نصف قرن هو ان الجيوش الاسلامية التي كانت في جانب القلة بالنسبة للأعداء، انما كانت تتفوق على خصومها لكونها كانت تقاتل لتكون كلمة الله هى العليا، ولم يكن ذلك الفتح المبين هو بأسنة الرماح، او بحد الصارم البتار، بل بنشر العدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر، ثم بنشر العلم والأمن والسكينة، ومنع الغطرسة والتعدي من القوي على الضعيف، في كل بلدة او اقليم دخله الجيش الاسلامي، فلذلك كانت الامم تستقبله بصدر منشرح وقلب مطمئن. واما نابليون فكان يقاتل لاجل السيطرة على العالم والتغلب على الممالك ولذلك نجح العرب، ولم ينجح نابليون لأن العبرة بالمقاصد.

نظرية غليوم الثاني

نقلت جريدة الفتح الغراء في عددها (٤٣٥) عن جريدة المقطم أن مسيو موريس باليولوغ سفير فرنسا الاسبق في روسيا وعضو الاكاديمية الفرنسية الآن نشر وثيقة تاريخية في كتاب له عنوانه (غليوم الثاني، ونقولا الثاني) وهي تتضمن كتابا بعث به غليوم الثاني امبراطور المانيا بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨م الى قريبه نقولا الثاني قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والاسلام عند زيارته بيت المقدس في ذلك الشهر من تلك السنة وهذا نص الوثيقة التاريخية:

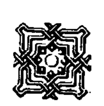
«ان القدس هي التي استوقفت نظري طبعاً بوجه خاص لما فيها من أماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (اي السيد المسيح) ومجرد الفكر ان نظره وقع على هذه الآكام، وأن قدمه وطئت هذه الأرض، يحرك أوتار القلب ويبعثه على الخفقان بقوة أعظم، ولكنني مضطر الى الاعتراف باخلاص بأن جميع الأشياء التي رأيتها هنا ولها صلة بالايمان المسيحي لا تساعد مطلقاً على توليد ذلك الشعور. فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحي وتعددت الكنائس والأديرة التي بنتها. فنشأت عن ذلك منافسة معيبة، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس، فجاءت غير ملائمة للجهات التي بنيت عليها، حتى انه يخيل للمرء أنه في معرض من الكنائس. ولقد أثر ذلك التنافس في كهنة الكنائس المختلفة، ويجد القسوس

لذة في الدس وفي تنظيم المؤامرات السياسية، وهم يثيرون الاحقاد بدلا من أن يبثوا الحب و يسببون مشاجرات ومنازعات في الكنائس تحل محل التراتيل الدينية، والوئام الذي يجب أن يسود الجميع. والأمر من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الاحجار والأشجار مع ان ذلك محظور في الوصية الثانية من الوصايا العشر، حتى يمكن القول ان هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الالهية. وقد قال لي رجل فرنسوي: اننا في هذه الاماكن التي يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة مع أنه من المتعذر اقامة الدليل على قدسيتها، أما العبادة الالهية فلا مكان لها هنا. وهذه الاقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ولو أنها مؤلمة جداً لعواطفنا المسيحية، ولما غادرت الاماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين وكنت أقول لنفسي في قرارة نفسي: (لو لم يكن لي دين عند وصولي من القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامي) اهـ.

هذا ما قاله امبراطور المانيا السابق غليوم الثاني عن الاسلام والنصرانية في خطابه لقيصر الروس السابق نقولا الثاني الذي كان يسمى نفسه ناصر الدين المسيحي والامة المسيحية، وحامي الصليب، وكان ذلك الخطاب قبل سبع وثلاثين سنة حين زار غليوم القدس الشريف وهو على عرش المانيا، وبيده مقدرات قسم عظيم من أوروبا وتهتز لذكره كثير من الأمم، فكان في خطابه هذا لقيصر الروس صراحة تامة عن حالة المذهب المسيحي من كونه أصبح عند القساوسة عبارة عن تنافس وتغالب فيما بينهم، وتعال ببناء الكنائس حتى خرج عن كونه دين عبادة وتقوى واصلاح وهدى وغير ذلك، حتى سماهم ذلك العاهل الكبير بعبدة الاحجار والأشجار، وصرح بتفضيل الدين الاسلامي على الدين المسيحي، مع انه رأى الدين الاسلامي في حالة تأخر المسلمين وتفككهم وانحلال رابطتهم الدينية والاجتماعية ودخول البدع والخرافات فيهم، ومحاربة الملاحدة والمبشرين لرجال الاصلاح منهم. فكيف لو رأى غليوم الاسلام في عصر الخلفاء الراشدين وفي عصر الخلفاء الأمويين، وصدر الخلافة العباسية، حينما كان سيد العالم أجمع، فماذا كان يقول؟ وما

تكون درجة موقفه؟ وكيف يكون اعجابه به؟ فما اظنه يتردد لحظة في اعتناقه رغماً عن كونه يدين بالمذهب المسيحي او بغيره، ورغما عن مركزه العظيم عند رجال الدين المسيحي والأمة المسيحية.

نظر نابليون الى الاسلام من الوجهة الحربية فقال: ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن. ونظر غليوم الى الاسلام من الوجهة الدينية فقال: (لو لم يكن لي دين لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامي). فهذه شهادة عاهلين عظيمين من أعظم ملوك أوروبا للدين الاسلامي من الوجهة الدينية والحربية، وهي كلمتان وجيزتان من ملكين عظيمين تشملان معاني كثيرة لو اردت أن أشرحهما وأبين معانيهما لحبرت عدة صفحات، وكما قيل في المثل (كلام الملوك ملوك الكلام) فتركت للقاريء أن يستنبط منهما ما شاء من المعاني بحسب ذوقه وسعة مداركه.



نظرية فولتير

وجاء في كتاب (لماذا تأخر المسلمون) بصحيفة (٩٠) عن (فولتير) أنه قال عندما ذكر لديه (لوثير) و(كلفين): (كلاهما لا يصلح ان يكون حذاءً لمحمد). يريد بقوله هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاصلاح مالم يبلغا ادناه مع اعتقاد الكثيرين منهم ان مذهبهما كان فجر أنوار أوروبا. يعني انهما كانا من اعظم رجال الاصلاح في أوروبا، ومع ذلك لم يصلحا ان يكونا حذاء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في نظر (فولتير) مع انه من اقطاب ملاحدة الغرب.

نظرية موسهليم

وجاء في كتاب (غرائب الغرب) للأستاذ كرد علي بالجزء الثاني بصحيفة (١٣٩) عن (موسهليم) الجرماني انه قال: (حق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم اصل ينبوع كل معرفة في الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التي بزغت في أوروبا منذ القرن العاشر فصاعداً).

نظرية الدكتور روزيه

وذكر في صحيفة (١٤٢) انه قال له الدكتور (روز يه) رئيس جامعة لوزان في سو يسرا سابقاً: انني طفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فاعجبت بها كل الاعجاب، ومما شاهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسيه فان أهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود، ولم يتيسر لمدنية القرن العشر ين ان تقيم أرقى مما أنشأه ابناء جنسكم في القرون الوسطى، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعالم في أرض الأندلس على نسف هذه السدود على وادي الاحمر وغيرها، والا لهلك اهل ذاك الاقليم عطشاً، ومن الاسف ان مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها، فقبح من قضوا عليها، وأوصلكم الى ما أنتم عليه من الانحطاط.

فهذا العالم السو يسري رئيس جامعة لوزان يأسف على ذهاب حضارة العرب و يقول بكل صراحة: ولم يتيسر لمدنية القرن العشر ين ان تقيم ارقى منها، و يقول أذناب الالحاد والتبشير: لو وجد محمد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الذي هو عصر العلم والمدنية ماذا كان يصنع؟ فاذا كان رئيس جامعة لوزان يعجب من صنع بعض المسلمين في القرون الوسطى، فما بالك لو ان محمداً صلّى الله عليه وسلم كان موجوداً في هذا العصر، اذاً لصنع بما أرشد به القرآن الذي اهمله المسلمون، ولاصبح المسلمون بارشاده سادة العالم أجمع كما كانوا في القرن الاول بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ولأراح اهل الارض من وقاحة أمثال هؤلاء الذين ملأوا الجو عواء دون جدوى، لان جهلهم، وغطرستهم قد علمها حتى بسطاء المسلمين، وأصبحوا منبوذين من الانسانية، وملعونين اينما ثقفوا.

نظرية مستر كنورثي

وجاء في كتاب (الحديقة) جزء (١١) صحيفة (٦٧) عن مستر (كنورثي) الكاتب البريطاني الشهير انه قال في مقالة نشرها في جريدة (هيرالد تربيون) التي تطبع في نيويورك بامريكا تحت عنوان (ضغط العالم المسيحي ستة قرون على روح الحرية الاسلامية): عند ما حكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية، فارتقت العلوم في ايامهم، وازدهرت الحكمة، حتى اخذ الغرب علومهم عنهم ودرسها في جامعاته، وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحي المستمر عليها.



نظرية هنري لاوس

وجاء فيها ايضاً تحت عنوان (الثقافة الاسلامية) بقلم المستشرق الفرنسي (الموسيو هنري لاوس) بصحيفة (١٧٠) انه قال: امكن لفريق من المستشرقين ان يقولوا بوجود ثقافة اسلامية عامة، ابتدأت في التاريخ بالدعوة الاسلامية الاولى على عهد النبوة، ثم تكونت في زمن الخلفاء الراشدين، والدولة الاموية ثم في عهد العباسيين ببغداد، وانتشرت في مختلف الاقطار الاسلامية من الشرق الى الغرب ثم ذكر الشعر الجاهلي ورد على من زيفه الى ان قال: من العناصر التي تتكون منها الثقافة الاسلامية هو العنصر الديني المحض، وفي مقدمته (القرآن، والحديث) وان ما نزل في مكة من السور والآيات كان تشريعاً دينياً محضاً، واما ما نزل في المدينة فيتناول التكوين السياسي والاجتماعي، ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن، واما الذين لا يفعلون ذلك ولاسيما الذين يظنون ان الاسلام زال نشاطه، فانهم يعنون بدراسة المسلمين أنفسهم اكثر مما يعنون بدراسة القرآن، والقرآن لايزال يفسر بالسنة التي جاءت مبينة لمشكله ومفصلة لمجمله، وهي تتناول التشريع في العبادات وغيرها وجميع ما يتصل بالحياة اليومية، ولما انتشر الصحابة في البلاد بعد الفتوح اخذ الناس عنهم الحديث، وتناوله القصاص، ووضع بعضهم احاديث وقصصاً، فانبرى لهم من العلماء رجال ميزوا بين الصحيح والموضوع، وردّوا ما

دسه الوضاعون، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب الستة المعتمدة، واقول: ان التمسك بالسنة من أقوى ما يوجد في الاسلام، وان الامام أحمدبن حنبل وأتباع مذهبه من أشد المتمسكين بالسنة، وقال بعض المستشرقين وهو الاستاذ ايغناس غولدزهر: ان تاريخ التطور الفكري في الاسلام انما يتمثل في الصراع بين السنة والبدعة ثم قال: نشأت الثقافة الاسلامية في المدن وامتازت كل مدينة بطبائع واخلاق، فهنالك البصرة والكوفة، وهنالك المدينة المنورة وبغداد ومدن الاندلس وبلاد المغرب التي لاتزال الى الآن من أرقى المدن الاسلامية. ان وحدة الثقافة الاسلامية تقوم بوحدة العقائد الاسلامية وما كان الانقسام عند المسلمين الا في الفروع، واعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة، وقد حدث في هذه الايام تقارب بين الفريقين. ومهما يكن من تأثير العنصر الديني في الثقافة الاسلامية فان الاسلام ليس فيه ما يمنع البحث العلمي، وقد قامت عند المسلمين مدارس مهمة للطب والعلوم، وجميع المؤرخين في الاسلام لهم نمط واحد في ايراد الحوادث والوقائع، لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف ما خلا ولي الدين عبدالرحمن ابن خلدون فانه طبق قواعد النقد على التاريخ بكل معاني الكلمة، وحاول ان يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية، ومن مظاهر وحدة الثقافة الاسلامية من جهة الادب والشعر، فان جميع المسلمين في المشرق والمغرب يتحدون في دراسة الشعر العربي، وهو من أوثق الروابط بين الاقطار الاسلامية، وعندي ان (اللغة العربية) من اهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين، وأهم أسباب تفوق هذه اللغة انها اللغة الرسمية، ولغة الدين، ولابد لاجل فهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة. وقال في تأثير ثقافة الاسلام على أوروبا: من مميزات المستشرقين في هذه الايام الحاحهم في البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية في القرون الوسطى من ثقافة الاسلام، ولقد كان ملتقى الادبين في الاندلس، وصقلية، وبعض المدن الايطالية كالبندقية وجنوه، وفي الحروب الصليبية ايضاً حدث احتكاك في الافكار بين الشرق والغرب، وان لتأثير الاسلام في الامم النصرانية في

القرون الوسطى أشكالا مختلفة، ويجب علينا الرجوع الى تاريخ العلوم لنقدر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية في مدارس الافرنج في القرون الوسطى، وان لغتنا الفرنسية لا تزال الى اليوم محافظة على كلمات اقتبستها من لغة العرب، وفي ذلك لمحة دالة على ما وراءه من اقتباس وتأثير. ثم ذكر أسباب انحطاط المسلمين في الثقافة فقال: من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الاسلامي، وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط، فمنهم من يرى ان الانحطاط ناشيء عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الاول ومن ذلك سد باب الاجتهاد، وبعض الاوروبيين يرى ان سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث في فلسفة أرسطو، والذين يقدرون تقدم الآلات الميكانيكية في الغرب يرون ان سبب تأخر المسلمين تقصيرهم في الأخذ باسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها، وفي الواقع ان المسلمين لم يقتبسوا الطباعة الا في أزمان متأخرة، ولو بكروا في ذلك لكان له الأثر الطيب، وللثقافة الاسلامية الحاضرة عدة اتجاهات اهمها الحركة السلفية التي يراد منها الرجوع الى بساطة الاسلام الأولى وتحكيم الكتاب والسنة، وتبتديء الحركة بـ(ابن تيمية) وتلميذه (ابن القيم) وأظن ان في الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل الى هذه الطريقة، ولاحظت انا بنفسي وجود اتجاه نحو ذلك في المغرب، وهناك تيار تفكيري آخر ينتسب الى السيد جمال الدين الافغاني، والشيخ محمد عبده، وهو أقرب تناولا من الأول، وقد شاهدت ميلا عظيما الى هذا التيار في مختلف بلاد الاسلام في الشرق والغرب ا هـ.

هذا ما قاله الموسيو (هنري لاوس) المستشرق الفرنسوي من رقي الاسلام وحضارته وتقدمه على سائر الأمم الشرقية والغربية عدة قرون وهو الأستاذ لأوروبا في العلوم والمعارف والميكانيكا والفلسفة وكل شيء، وان سبب تأخر المسلمين لكونهم لم يسيروا على سير سلفهم الصالح، وهذا قد نبهنا عليه اخواننا المسلمين في كثير من المواضع في كتابنا هذا واثبتنا لهم اثباتا عقلياً ونقليا بانه

لا سبيل الى نجاحهم الا اذا رجعوا الى الوراء اكثر من ألف عام، رجعوا الى ماضي مجدهم حينما كانوا قادة الأمم وساداتها في كل شيء، ولا يزال كما قلنا غير مرة: ان باب الوصول الى النجاح مفتوح على مصراعيه وليس عليهم الاّ ولوجه.



نظرية إدوار مونتيه

وجاء في الحديقة جزء (١١) صحيفة (٢٤٢) تحت عنوان (الاسلام ينتشر بنفسه) ان الاستاذ (ادوار مونتيه) مدير جامعة جنيف ألقى محاضرة قال فيها: ان الاسلام دين سر يع الانتشار ينتشر من تلقاء نفسه دون اي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته، المسلم شديد الايمان وشدة ايمانه تستولى على قلبه وعقله، وهذه ميزة في الاسلام ليست لدين سواه، ولهذا السبب ترى المسلم الملتهب ايمانا يبشر بدينه اينما ذهب واني حل، و ينقل عدوى الايمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين، ولعمري ان للايمان الاسلامي الشديد اكبر فضل في انتشاره هذا الانتشار السر يع، وفضلا عن الايمان فالاسلام يتمشى مع الاحوال الاجتماعية، والاقتصادية، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط وعلى تكييف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي، ولا شك في ان الاسلام يعد من اكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية، الاسلام حضارة قائمة بنفسها رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن، الا انهم الآن ينتبهون مرة ثانية و ينشرون المدنية والرقي في كل انحاء العالم، ان تأثير الاسلام في السكان مفيد اكثر من تأثير المسيحية، فالمسيحية ضعفها ظاهر في افر يقيا، بينا قوة الاسلام وعظم تأثيره في الحالة الاجتماعية، والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلي، وآخر ملاحظاتي هي ان للاسلام قوة اندماج وملاءمة للاوساط الافر يقية، والاوساط الراقية، والمدنية العالية، وليست هذه المز ية لاي دين او نظام اجتماعي غيره.

هذا ما قاله الاستاذ (ادوار مونتيه) عن قوة الاسلام وتأثيره في عموم العناصر، وان له قوة اندماج وملاءمة للاواسط الراقية والمدنية العالية، وهي شهادة من مدير جامعة جنيف للاسلام وهو على غير الدين الاسلامي فاذا قايسنا بينه وبين القائلين (ماذا عمل محمد؟ ولو وجد محمد في هذا العصر ماذا كان يعمل؟) نجد ان هؤلاء القائلين بهذا القول لا يصلون الى كعب الاستاذ (ادوار) ولا أوطأ من ذلك، حيث ان الجاهل اذا رام مباراة العالم فليس له موضع الاّ الاندحار، وانك لا تجد لهؤلاء الاغبياء مبرراً لاقوالهم وانما قد اتوا بمبررات تدل على قوة وقاحتهم وعظيم جهلهم، واثبتوا للملأ أجمع انهم احط من الحيوانات العجم ادراكا وفهما وتصوراً.



نظرية الفيلسوف توماس كارليل

هنا أنقل للقارىء ما قاله الفيلسوف توماس كارليل في كتابه (الأبطال) تعريب محمد السباعي في المحاضرة الثانية تحت عنوان (البطل في صورة رسول) قال كارليل: لقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متمدن من أبناء هذا العصر ان يصغى الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب، وان محمداً خداع مزور، وآن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة، فان الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصار اكذوبة وخدعة؟ اما انا فلا استطيع ان أرى هذا الرأي ابداً، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج و يصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الاّ بله ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة، كان الاولى بها ألاّ تخلق، فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة. وبعد فعلى من أراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألاّ يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء، فانها نتائج جيل كفر، وعصر جحود والحاد، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان، ولعل العالم لم ير قط رأيا اكفر من هذا وألام، وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد ديناًأو ينشره؟ عجباً والله، ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من

الطوب• فهو اذا لم يكن عليا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد• نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الانفس• ولكنه جدير ان تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن— ثم تكلم عن ولادته صلّى الله عليه وسلم وعن كفالة جده عبدالمطلب ثم عمه ابي طالب وسفره الى الشام ودحض فرية من قال انه تعلم على (بحيرا الراهب) واثبت انه أمي• وذكر شيئاً عن أحوال العرب وأخلاقهم وذهنيتهم الي ان قال: ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً• وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب و يظهر لي ان الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة• وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما يوفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه و يتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية• وعجيب وأيم الله أمية محمد نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب• ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك ثم قال: يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمداً لم يكن ير يد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان• كلا وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير أفكار غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه—الى ان قال— أقول: ومازالت هذه الخطة المثلى والمذهب الاشرف الاطهر، ومازال الرجل مصيباً وظافراً وحراً وكريماً وسائراً على المنهج الاقوم وسالكا سبيل السعادة مادام معتصما بحبل الله متمسكا بقانون الطبيعة الاكبر الأمكن غير مبال بالقوانين السطحية والظواهر الوقتية وحسابات الربح والخسارة نعم هو ظافر• ثم قال: فمن فضائل الاسلام تضحية النفس في سبيل الله• وهذا أشرف ما نزل من السماء على نبي الارض• نعم هو الله قد سطع في روح ذلك الرجل فأنار ظلمتها، هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك• وقد سماه محمداً• وحياه

جبريل. وأينا يستطيع أن يحدث له اسماً؟ ألم يجيء في الانجيل ان وحي الله يهبنا الفهم والادراك؟ ولا شك أن العلم والنفاذ الى صميم الامور وجواهر الاشياء لسر من أغمض الاسرار، لا يكاد المنطقيون يلمسون منه الا قشوره. وقد قال نوفاليس (أليس الايمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله؟) فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بأن الحقيقة المذكورة هى أهم ما يجب على الناس علمه لم يكن الا أمراً بديهياً، وكون الله قد أنعم عليه بكشفها له ونجاه من الهلاك والظلمة، وكونه قد أصبح مضطراً الى اظهارها للعالم أجمع هذا كله هو معنى كلمة (محمد رسول الله) وهذا هو الصدق الجلي والحق المبين. ثم ذكر ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش من المحاورات وتعندهم لعدم قبول دعوته وعرض نفسه على القبائل وهجرته الى المدينة. ثم قال: ومن هذه الهجرة يبتديء التاريخ في المشرق وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد فترون انه كان قد أصبح اذ ذاك شيخاً كبيراً. وكان أصحابه يموتون واحداً بعد واحد ويخلون امامه مسلكا وعراً وسبيلا قفراً وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعاً ومحركا ويفجر بعزمه ينبوع أمل بين جنبيه، فهيهات ان يجد بارقات الامل فيما يحدق به من عوابس الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات. وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الاحوال. وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط، فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة — اي يقتلوه — عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربي، ولسان حاله يقول: «وأما وقد أبت قريش الا الحرب فلينظروا أي فتيان هيجاء نحن» ثم قال: ولقد قيل كثيراً في شأن نشر محمد دينه بالسيف، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا، فهم يقولون: ما كان الدين لينتشر لولا السيف، ولكن ما هو الذي اوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق، والرأي الجديد اول ما ينشأ يكون فى رأس رجل واحد، فالذي يعتقده هو فرد،

فرد ضد العالم أجمع، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع، وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا؟ وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها، فانها لن تهزم الاّ ما كان يستحق ان يهزم، وليس في طاقتها قط أن تفني ما هو خير منها بل ما هو أحط وأدنى، وهنا أخذ يبرهن بالأدلة الفلسفية والمنطقية والعقلية على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و يرد على المبشر ين والمتغطرسين فر ياتهم على الاسلام ونبي الاسلام الى ان قال: نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب، وشدة امتزاجه بالنفوس، واختلاطه بالدماء في العروق لأيقنا انه كان خيراً من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً. ثم قال: نظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم و براهينهم ومزاعمهم وقضاياهم، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق، وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الأمر وصميمه، وقال: انما الحق «أن لا اله الا الله وحده لا شر يك له خلقنا و بيده حياتكم وموتكم وهو أرأف بكم منكم، وما أصابكم من شيء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون» ان ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النار ية لجدير أن يكون حقاً، وجدير أن يصدق به، وان ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للانسان أن يؤمن به، وهذا الشيء هو روح جميع الاديان. ثم قال: لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها لانه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق، فانها حطب ميت اكلته نار الاسلام.

فذهب والنار لم تذهب. أما القرآن فان فرط اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الاذواق في الامم المختلفة. هذا وان الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة. ولذلك لا عجب اذا قلت ان الاوروبي يجد في قراءة القرآن اكبر عناء فهو يقرأه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ويحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلم لكن يعثر خلال ذلك على كلمة مفيدة. أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة ولان لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه. فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل مالم يعطه أنقى النصارى لانجيلهم. وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها، والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيراً يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيما ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الألوف من خلق الله وفي قلوبهم اثنى عشر قرنا في كل آن ولحظة. ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة. اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى أفئدة سامعيه وقارئيه وقد زعم (براديه) وأمثاله انه ــ أي القرآن ــ طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبلوغ مطامعه وغايته. ولكنه قد آن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فاني لأمقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب. وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل. والقرآن لو تبصرون ما هو الا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات. ثم تكلم عن الزكاة فقال: وفي الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي، فنفس

المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الاسلام سواء، والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزأ من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنكوبين. جميل والله كل هذا وما هو الا صوت الانسانية، صوت الرحمة والاخاء والمساواة، ثم تكلم عن محاسن الصوم وفوائده، وعن الجنة والنار والآخرة وحلل ذلك بتحاليل فلسفية الى ان قال: ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور، وأحيى به من العرب أمة هامدة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً، وسع نوره الأنحاء وعم ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالغرب، وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة، بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة، وكذلك الايمان العظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة، ومازال للأمة رقي في درج الفضل وتعريج الى ذرى المجد، مادام مذهبها اليقين ومناهجها الايمان، ألستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا يبصر بها فضل، ولا يرجى فيها خير فاذا هي بارود سريع الانفجار، وما هي برمل ميت، واذا هي قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهي؟ ولطالما قلت إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء، وسائر الناس في انتظاره كالحطب، فما هو الاّ ان يسقط حتى يتأججوا و يلتهبوا.

هذا بعض ما قاله الفيلسوف (توماس كارليل) الانكليزي في كتابه (الأبطال) في محاضرته الثانية التي ألقاها على جمع عظيم من أبناء بريطانيا ورجالها، عن نبي الاسلام ودين الاسلام وكتاب الاسلام، فهل وقف جرثومة الالحاد ذلك الضال المضل الذي قد سمم بعض تلامذة مدارس مصر بتشكيكه

والحاده، وقوله في (القرآن المجيد): انه كتاب ككل الكتب، وقوله لتلاميذه الذين رماهم القدر بين يديه: ضعوا القرآن أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة؟ فاذا صكه العمى ولم يبصر بلاغة القرآن واعجازه، ألم يسمع قول الأستاذ كارليل في القرآن وهو رجل انكليزي بعيد عن لغة العرب وبلاغتهم؟ فاذا كان دأبه تقليد بعض ملاحدة الغرب فلماذا لم يقلد كارليل؟ نعم انه لم يقلد رجال الاصلاح حيث لم يذق للاصلاح طعما، وانما يقلد أهل الزيغ والالحاد والضلال والتشكيك، لأن ذوقه ألف القذارة والمنبوذ من الرأي والقول. (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها).



نظرية الدكتور أنسباتو

وجاء في الحديقة في الجزء الخامس صحيفة (١٦٢) قول الدكتور (انسباتو) الايطالي في كتابه (الاسلام وسياسة الخلفاء): ان الكرم العلمي والصدقة الفكرية، صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا.

نظرية هنردي شامبون

وجاء في الحديقة في الجزء السابع صحيفة (٢٤٦) تحت عنوان (الانتصار الهمجي على العرب) قول هنردى شامبون مدير (يغويار لمنتير) الفرنسوية: لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي، ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل، وحسبها انها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية، وانه لكذب وافتراء ماندعيه من أن الزمان قد اختلف، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى.

نظرية المستر ولز

وجاء في الحديقة في الجزء السابع أيضاً صحيفة (٢٦٢) تحت عنوان (الاسلام هو المدنية) قول المستر (ولز) وهو اكبر كتّاب الانجليز على الاطلاق وله مؤلفات عدة، وقد كتب مؤخراً مقالا عن الاسلام وأبدى رأيه في الدين الحنيف ونقلت مقاله الصحف الانجليزية التبشيرية وانتقدته قال المستر ولز: كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به، لان الدين الذي لا يسير مع المدنية جنباً الى جنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك، وان الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي (الديانة الاسلامية) واذا أراد الانسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ (القرآن) وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب ديني علمي اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي، وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة. واذا طلب مني أحد القراء أن أحدد له الاسلام فانني أحدده بالعبارة التالية: وهل في استطاعة انسان أن يأتيني بدور من الادوار كان فيه الدين الاسلامي مغايراً للمدنية والتقدم؟ كان النبي محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً، واقرأ ما جاء في أحاديثه تتحقق صدق ما أقول، و يكفي أن قوله المأثور «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، واذا أكلنا لا نشبع» هو الاساس الذي بنى عليه علم الصحة، ولم يستطع الاطباء على كثرتهم ومهارتهم ان يأتوا حتى

اليوم بنصيحة أثمن من هذه، والخلاصة أن محمداً كان مجموعة من الحسن والنبوغ والبحث، وهذا هو التحديد الصحيح الذي يجب على كل مسلم ان يعرفه ثم قال: ان محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن ان يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وان يقلب التاريخ رأساً على عقب وان يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والاخذ بالثأر، واتباع آبائها، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الامة العربية على أمرها، فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع محمد أن يقهر خصومه بها هي من عند الله؟ ا هـ.



ماجاء في دائرة المعارف البريطانية

وجاء في رسالة (حقيقة الدين الاسلامي) نقلا عن دائرة المعارف البر يطانية المؤلف (١١) موضوع القرآن (ان محمداً وفق في دعوته اكثر من اي نبي آخر) ونقل ايضاً عن كتاب (حياة محمد) ان (السير و يليم ميور) الناقد الذي لم يناصر الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم أبداً، قد اعترف بمعجزة الانقلاب العظيم الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: عندما كان النبي شابا كانت احوال وأطوار جز يرة العرب عقيمة رجعية ولربما لم يكن الاصلاح في أية فترة أخرى بأصعب مما كان في ذلك العهد فظهر النبي صلّى الله عليه وسلم واستعد قومه لدين جديد وروحانية جديدة، وتطاير شرار الانقلاب من كل حدب وصوب في الجز يرة العربية واستعد القوم لذلك الانقلاب الحديث، واذا استعرضنا تار يخ جز يرة العرب قبل الاسلام نجد ان الديانة المسيحية لم تحدث خلال خمسة قرون شيئاً يذكر سوى تنصر قليل من الناس في مختلف الاماكن، واذا تعمقنا كثيراً في تار يخ الاديان نرى ان الديانتين اليهودية والنصرانية لم تؤثرا على روح العرب وانما الاعتقادات الاسماعيلية (يعني ملة ابراهيم ص) هي التي كانت مستولية على أذهانهم، وحالة جز يرة العرب قبل الاسلام لم تكن صالحة لقبول أي انقلاب ديني أو اجتماعي أو سياسي لأن عبادة الاصنام كانت راسخة في قلوب العرب وانهم منذ قرون لم يعهدوا أحداً استطاع ان يغير عقيدتهم رغم مساعي نصارى مصر وسور يا .

الى هنا نقتصر على ما تقدم حيث لو أردنا أن نستوعب كل ماقاله علماء الغرب المنصفون في فضائل ومحاسن نبي الاسلام، ودين الاسلام ومدنية الاسلام، وحضارة الاسلام، والتشريع الاسلامي القضائي والمدني، لضاق بنا المقام واحتاج الامر الى عدة أجزاء، حيث ان هذا الامر شائع عند كثير من علماء الغرب الذين تتبعوا الحوادث الاسلامية السياسية والاجتماعية والادارية وغير ذلك. ولنختم بحثنا هذا بما جاء في الحديقة بالجزء السابع صحيفة (٢٠٠) تحت عنوان (نصف قرن على الاسلام في انجلترا) وهي محاضرة القاها الشيخ عبدالله كوليام الانجليزي في نادي جمعية الشبان المسلمين.



محاضرة الأستاذ عبدالله كوليام

قال الشيخ عبدالله كوليام: منذ ستين عاماً أشار عليّ الاطباء براحة أمضيها في جبل طارق، فلما سرت الى هناك ركبت سفينة الى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المراكشية، واتفق انني لما صعدت السفينة رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغترفون الماء بالدلو من البحر و يتطهرون مبالغين في النظافة، ثم اقلعت السفينة وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفاً جميلة وجعلوا يصلون معاً بخشوع وطمأنينة غير مكترثين بتمايل السفينة واضطراب الر يح، ولقد أثر في نفسي ما قرأته على وجوههم من صدق الايمان فاثارت حالتهم هذه الاهتمام الزائد عندي في أن أستز يد من المعلومات عن الدين الذي يدينون به وما عتمت أن تعرفت بملمّ يتكلم الانجليز ية فكان يلازمني دائما مدة اقامتي في طنجة لا سيا بعد ما شعر مني بالرغبة في تعرفة المبادىء التي يدعو الاسلام اليها والروابط التي تر بط المسلمين بعضهم ببعض. وفي ذات مساء جلست معه في مقهى من مقاهي طنجة وكان ثمة رجل اسرائيلي اسمه موسى يعرفه صاحبى المسلم فقال لي صاحبى: أر يد أن أضرب لك مثلا يوضح حقيقة الديانات الثلاث السماو ية السائدة في الأرض وهي الديانات التي نمثلها أنا وأنت وهذا الاسرائيلي، ان الأنبياء سفراء الله الى الناس يحملون اليهم قواعد الاصلاح و يدلونهم على

طريق السعادة، لهذا جاء آدم ونوح وابراهيم، وكل الانبياء بعد ابراهيم، وقبل أن يفترق الناس الى يهود ونصارى ومسلمين كانوا جميعاً على ملة واحدة، فجاء المسيح عليه السلام بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح فانفصلوا عن اليهود، وكانوا على حق في انفصالهم هذا لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة الى الطريق الأقوم، ثم جاء محمد صلّى الله عليه وسلم مصدقا لجميع الانبياء قبله ومرشداً الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والارشاد، فانفصل المسلمون أيضاً وكانوا على حق في انفصالهم هذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود، فكما ان المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحي أقرب عهداً من الوحي الاول كذلك الاسلام أفضل من المسيحية واليهودية معاً لانه أحدث الوحي وآخر الديانات وأبقاها. كنت أسمع حديث صديقي وأطيل التفكر فيه ولا أشعر في نفسي بمعارضة له لأنه كان معقولا ومنطقياً، فعولت من ذلك الحين على أن أقرأ الاسلام في كتبه وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون فقرأت ترجمة رسل للقرآن الشريف وقرأت كتاب الأبطال لكارليل وقرأت غيرهما، وما خرجت من طنجة الا وأنا مستسلم للاسلام مذعن لقوته، مقر بأنه حق، وأنه خير الاديان.

ولما رجعت الى انجلترا كان شغلي الشاغل التفكير في الأسلوب الذي يجب أن أتبعه لادعو الناس الى الاسلام واقنعهم به وأحملهم على الايمان به، وكنت أعلم أن ما شحنه أعداء هذه الهداية من رؤوس الأوربيين عن الاسلام سيحول بيني وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر، لأن جمهور الانجليز اذا حدثتهم عن الاسلام يظنون انك تحدثهم عن دين وثني، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات، لأن الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة، والناس هناك بالاجمال غير مستعدين للاصغاء الى هذه الدعوة ثم بدا لي أن أطرق بابا غير مباشر وهو أن ألتحق بجمعية (النهي عن المسكرات) التي كانت تلقى محاضرات دورية، وبالفعل ألقيت في هذه الجمعية محاضرة

موضوعها (المتعصبون، والتعصب) استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة في عالم الاختراع والاصلاح الاجتماعي مثل (ستيفنسون) مكتشف القوة البخارية و(ويلبرفورس) المجاهد في سبيل تحرير الرقيق، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا له مواهبهم، قلت: وبالرغم من ذلك نرى آثار هؤلاء العظماء واصلاحاتهم في انتشار ونماء، وقد استفادت منها الانسانية فوائد عظيمة فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة ثم أردفت بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقلت: ان هذا المصلح الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس الى الخير، ومع ذلك فقد ناله من الاذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على خير الانسانية، فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا في دينه أفواجا، وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات الملايين في جميع أطراف المعمورة، ثم ذكرت شيئاً من آداب الاسلام والمبادىء والتعاليم التي دعا اليها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الموضوع طريفاً جداً في نظر الصحفيين الذين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة واستأذنوني في أن يأخذوا خلاصتها في صحفهم، فقلت:لا بل أشترط أن تؤخذ كاملة، فان لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شيء منها، فوافقوا وأخذوا نصها. لكن القسس لما علموا بالأمر أسرعوا الى مديري الصحف وقالوا لهم: ان المحاضرة فيها دسائس، وانها تتضمن الدعوة الى دين وثني وفيها تحريض المسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم، فوافق مديرو الصحف على حذف مافي المحاضرة خاصا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونشروا الباقي، أما أنا فاعتماداً على ما اتفقت عليه مع مندوبي الصحف أنذرت القوم بأني سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتي وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة والا فالقضاء بيني وبينهم، فأذعنوا لما طلبته بعد أن أعادوا النظر في المحاضرة ورأوا أن ما قاله القسس مبالغ فيه، فنشروها كاملة، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدي التي تناولت تلك الصحف ولما بلغت هذا النجاح فكرت في أن يكون لنا في بلدى (ليفربول) مكان نقيم فيه الشعائر الاسلامية ونلقي فيه المحاضرات، وبالفعل اخترنا مكانا جعلنا نصفه

للعبادة ونصفه للدرس والوعظ والقاء الخطب، وما كدنا نفتح أبواب هذا البيت الاسلامي حتى صار القسس يدسون لنا الأشرار والمتحمسين من صغار العقول، وأفادنا هؤلاء القسس بما كانوا يكذبون علينا و يصموننا به من الأمور الباطلة، فاذا جاءنا المخدوعون بأكاذيبهم ولم يجدوا شيئاً مما حشيت به رؤوسهم يكون لذلك رد فعل حسن جداً، ومما أوذينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الاقذار على المصلين أثناء الصلاة أو وقت خروجهم من بيت الله، وكانوا يرجمون المؤذن بالحجارة و ينثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا. وفي ذات مساء انتهزوا فرصة وجودنا في مسجدنا فجاؤوا الى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكا لنعثر بها عند خروجنا في الليل، ومن محاسن الصدف أن احد الاخوان أهدى اليّ يومئذ عصا وان لم يكن من عادتي أن أحمل العصا، فحملتها. و بينما أنا خارج من مسجدنا أمام اخوانى أحرك العصا بيدي صدمت عصاى السلك فانتبهت له وللاسلاك الأخرى ووقانا الله شرها وشر أصحابها. ودخلت المسجد مرة أنا واخوانى لالقي عليهم محاضرة في تفسير آية من القرآن الشر يف فرأيت قد سبقنا الى المسجد جماعة قرأت في وجوههم أنها وجوه غر يبة فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشر يف وشرعت أفسرها وأستنتج منها العظات والعبر، فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المر يبين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها في الارض ثم توجه الى أصحابه وقال لهم: من كان منكم ير يد أن يرجم المسلمين بالحجارة التي معه فانا صرت الآن مسلماً فارجموني بها. فألقوها هم ايضاً في الارض واعلنوا اسلامهم. وهذا الرجل الذي كان رئيساً لهم ما لبث ان اصبح عضدي الايمن، وقد اختار لنفسه اسم (جمال الدين علي) ولازمني في كل رحلاتي التي قمت بها للدعوة الى الاسلام، حتى اننا ذهبنا مرة الى بلدة (بير كنهيد) وكان مقرراً ان القى في جمعية منع المسكرات محاضرة، فأتيت في هذه المحاضرة بشىء عن الاسلام والنبي صلّى الله عليه وسلم، فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتي وطلبت مني أن أشفي غليلها باعطائها معلومات أخرى عن الاسلام، ثم قالت: ولكن أليس نبي المسلمين هو القائل

ان النساء ليست لهن ارواح فلا يدخلن الجنة؟ فاخبرتها بأن هذا من اختلاقات أعداء الاسلام، واعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامي ومبادئه وقواعده، فأسلمت هذه السيدة وسميت (فاطمة) وأسلم على يدها شقيقتاها وزوجها. وفي احدى المرات كنت ألقي محاضرة في (ليفربول) وعند الانتهاء تقدم الى رجل وطلب ان يرافقني في طريقي الى البيت ليحادثني اثناء الطريق، وصرنا نتحدث عن الاسلام، وكانت أسئلته لي وأجوبتي عليها داعية لسرورنا، فلما بلغت باب المنزل دعوته لشرب الشاي عندي، وبقينا الى نصف الليل في حديث الاسلام وشرف منزلته ومبادئه العلمية الصالحة لكل زمان ومكان، واخيراً قال لي: واذا كان ما نقوله عن الاسلام حقاً فما يمنعك من ان تكون مسلما؟ فأجبته: اني افتخر بأني مسلم. فأسلم هو ايضاً وتسمى (جمال الدين بخاري) والآن فان البعض يعتقدون بأن اللورد (هدلي) هو اول لورد انجليزي دخل في الاسلام، وليس هذا صحيحاً، فقد دخل في الاسلام قبله اللورد (ستنلي اولدرلي) الذي كان يحب ان يدعى بين اخوانه المسلمين باسم (عبدالرحمن افندي) وكان يأتي مسجدنا فيصلى مع اخواننا رغم ما بينهم وبينه من التفاوت العظيم في المنزلة الاجتماعية. وبلغ عدد الذين اسلموا من الانجليز بضع مئات.

ثم قال: وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول: اننا كنا متبعين السنة الاسلامية في ان يصلي النساء صفاً وراء الرجال، اما مسجد (ووكنج) فترتيبهم في الصلاة ان يصلي الرجل بين المرأتين، والمرأة بين الرجلين، لأن أعداء الاسلام يضعون في أذن المرأة أن الاسلام يريد اهانتها بجعلها تتخلف في الصلاة وراء الرجل، والحقيقة التي لا يمكن انكارها هي ان السنة الاسلامية في الترتيب هي التي تضمن خلو بال المصلين، وأنا لا ريب عندي قط في هذه الحقيقة، الاسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة، وفيما عدا ذلك فكل ما جاء فيه خاصا بها فمعقول وطبيعي لانه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين اهـ.

هذا ماقاله أعلام الغرب من ملوك، ووزراء، وأمراء، وقواد، وفلاسفة، ورؤساء مجامع علمية، وأساتذة في أعاظم الكليات، ومن أعاظم المؤرخين، وأرباب الصحف الكبار السيارة، وكبار المستشرقين، من أوروباويين، وأمريكان، وكل هؤلاء الاعلام على مذاهبهم المسيحية أو المادية، أو الطبيعية، ولم يكن من بينهم من اعتنق الدين الاسلامي غير الشيخ عبدالله كوليام الانجليزي فقط، مع أن هناك غير من نقلت آراءهم من أعلام الغربيين المنصفين في هذه العجالة ما يربو على الآلاف، وقد اقتصرت على آراء من تقدم ذكرهم خشية الاطالة. ولم آت هنا بما أتيت لأجل ان أثبت لاخواني المسلمين محاسن دينهم الحنيف، بما ذكره اعلام الغرب! كلا، ثم ألف كلا، لان المسلم صحيح الايمان على قناعة تامة من كون دين الاسلام هو الدين الحقيقي الوحيد الصالح لكل زمان ومكان وعصر ومصر، لانه هو دين التوحيد، والتشريع العادل، ودين الحضارة والمدنية الراقية، والعمران البديع، ودين الفطرة والفضيلة، ومكارم الاخلاق، وانما ذكرت ما تقدم عن اعلام الغرب لاظهر للملأ اجمع ان حشرات الالحاد، واذناب التبشير، والتشكيك، اولئك الذين تسموا بأسماء المسلمين، والذين قد نبذتهم الفضيلة، والانسانية، والمتبجحين بقولهم: ماذا عمل محمد؟ ولو وجد محمد في هذا العصر ماذا كان يعمل؟ انهم ليسوا في العير ولا في النفير، ولم يكونوا من ذوى الرأي والعقل والتفكير ولا يملكون من الادراك ما تملكه (النملة) ولم يفهموا انهم لا قيمة لهم عند المسلمين وانهم احط قدراً من القردة والخنازير كما انهم لم يفهموا لماذا الحد ملاحدة الغرب الذين لم يلحدوا في مذهب المسيح عليه السلام وانما كان الحادهم منحصراً فيما جاءتهم به القساوسة من الغطرسة والسفسطة والسيطرة على حرية الانسان باسم الدين وجعلوا أنفسهم وسطاء بين الخلق والخالق جل وعلا وان بيدهم غفران الذنوب، والمغفرة والرحمة، وغير ذلك من المختلقات والمفتريات على الرب سبحانه وتعالى وعلى عيسى المسيح عليه السلام، تلك المختلقات التي لا تنطبق على العقل الصحيح والفكر الثاقب. فربما يكون

الحاد الغربيين في ذلك له وجه معقول. واما هؤلاء الاغبياء الجهلاء بجهلهم المركب فقد قصرت مداركهم عن فهم ما جاء به الاسلام من الهدى ودين الحق والاصلاح العميم لكافة البشر. فاذا كان قد قصر بهؤلاء الفهم عن ادراك ما كتبه علماء الاسلام عن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم، ألم يطلعوا على ما كتبه فلاسفة الغرب المنصفون اولئك الذين قد نقلت عنهم بعض ما تقدم في نبي الاسلام ومدنية الاسلام، وان العرب هم اساتذة الغرب في المدنية والحضارة والعمران حتى في الميكانيكا وعلم الفلك والطب وغير ذلك؟ ان هؤلاء لم يستطيعوا ولن يستطيعوا ان يقفوا على ما يكتبه امثال من تقدم ذكرهم، لانهم أجراء للمبشرين الغربيين. ولم يخجلوا بعد ان رشقتهم اقلام الكتاب بالنقد الشديد الذي هو كرجم الشياطين. وكشفوا للملأ اجمع عن حقائقهم وما هم منطوون عليه من الخبث والفساد حتى مزقوا ابدانهم وشوهوا وجوههم، وقد ظهر للناس انهم امثال الشياطين لكونهم يتلذذون باللعن والخزى، و يعدون ذلك رفعة لهم، فتراهم يعدون الحطة مكرمة، والذل عزاً، والرذيلة فضيلة. لانهم الفوا ذلك. (فمن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم).

تم بحمد الله تعالى تأليف هذه العجالة في يوم الاحد الموافق ٢٨ من شهر شوال سنة ١٣٥٣ بقلم مؤلفه حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكي. واسأله تعالى ان يمدني بعنايته. ويجعل هذا الكتاب مفيداً لابناء ملتي و ينفع كافة الخلق به انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير.



فهرست

الموضوع	الصفحة

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا (نقد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية (نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نقد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام (نفد)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجهاً لوجه	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الحضارة تحد (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي

● نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
● نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر
● السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
● قصص من سومرست موم (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● عن هذا وذاك	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
● الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
● الأمثال الشعبية في مدن الحجاز	الأستاذ أحمد السباعي
● أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
● فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
● خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله بوقس
● نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
● التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
● المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بن خميس
● تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
● خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
● السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
● رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
● جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
● تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
● الحمى (ديوان شعر)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
● قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
● ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
● زيد الخير	الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
● الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
● كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين زيدان
● شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
● أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
● قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
● نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
● الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
● الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
● ألحان مغترب (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● غرام ولادة (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
● سير وتراجم	الأستاذ عمر عبدالجبار
● الموزون والمخزون	الشيخ أبوتراب الظاهري
● لجام الأقلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
● نقاد من الغرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
● حوار.. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
● صحة الأسرة	الدكتور زهير أحمد السباعي
● سباعيات (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد السباعي
● خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبدالله باسلامة

- البترول والمستقبل العربي — الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
- إليها .. (ديوان شعر) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء) — الأستاذ محمد سعيد العامودي
- أيامي — الأستاذ أحمد السباعي
- التعليم في المملكة العربية السعودية — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- أحاديث وقضايا إنسانية — الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
- البعث — الأستاذ محمد علي مغربي
- شمعة ظمأى (ديوان شعر) — الدكتور أسامة عبدالرحمن
- الإسلام في نظر أعلام الغرب — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- حتى لا نفقد الذاكرة — الأستاذ سعد البواردي

تحت الطبع :

- تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- قصص من تاغور (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- ماما زبيدة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عزيز ضياء
- مدارسنا والتربية — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- وجيز النقد عند العرب — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- هكذا علمني ورد زورث — الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- وحي الصحراء — الأستاذ عبدالله بلخير، الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
- الطاقة نظرة شاملة — الدكتور عبدالهادي طاهر
- طيور الأبابيل (ديوان شعر) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- عمر بن أبي ربيعة — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- رجالات الحجاز (تراجم) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- لا رق في القرآن — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- من مقالات عبدالله عبدالجبار — الأستاذ عبدالله عبدالجبار
- دعوة ودفاع — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- إليكم شباب الأمة — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- لن تلحد — الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- سرايا الإسلام — الشيخ أبوتراب الظاهري
- رحلات وذكريات — الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
- التنمية قضية (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (الطبعة الثانية) — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- غداً أنسى (قصة طويلة) (الطبعة الثانية) — الدكتورة أمل محمد شطا
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد السباعي
- الحضارة تحد (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- الجبل الذي صار سهلا (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد قنديل

سلسلة : الكتاب الجامعي

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
• النمو من الطفولة إلى المراهقة	الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا	الدكتور عبدالمنعم رسلان
• النفط العربي وصناعة تكريره	الدكتور أحمد رمضان شقلية
• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج	الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
• علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
• مبادىء القانون لرجال الأعمال	الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
• الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم
• قراءات في مشكلات الطفولة	الدكتور محمد جميل منصور
• شعراء التروبادور (ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• النظرية النسبية	الدكتور عبدالرحمن فكري الدكتور محمد عبدالهادي كامل
• أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)	الدكتور أمين عبدالله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق
• المدخل في دراسة الأدب	الدكتورة مريم البغدادي
• الرعاية التربوية للمكفوفين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام	الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
• الوحدات النقدية المملوكية	الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
• الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم	الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
• تاريخ طب الأطفال عندالعرب	الدكتور محمود الحاج قاسم
• المنظمات الاقتصادية الدولية	الدكتور حسين عمر
• الاقتصاد الاداري	الدكتور فرج عزت
• التعلم الصفي	الدكتور محمد زياد حمدان

سلسلة :

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزّي
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبدالله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة) — الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر الحلواني

تحت الطبع :

- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الحسا (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبدالكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ
- تقييم النمو الجسماني والنشوء — الدكتورة ظلال محمود رضا
- العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي



صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر بتهامة
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية) — إعداد إدارة النشر بتهامة
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني — الشيخ أحمد بن عبدالله القاري
  (دراسة وتحقيق) — الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور اسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
- القرآن وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات
- الطب النفسي معناه وأبعاده — الدكتور محمد محمد خليل
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- مجموعة الخضراء (دواوين شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ علي الخارجي
- ديوان السلطانين — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الدكتور صدقة يحيى مستعجل
- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية) — الأستاذ جواد صيداوي

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• قراءات في التربية وعلم النفس	الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
• الموت والابتسامة (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله أحمد باقازي
• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف	الدكتور حسن محمد باجودة
• الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية	الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
• الحجاز واليمن في العصر الأيوبي	الدكتور جميل حرب محمود حسين
• ملامح وأفكار	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• المذاهب الأدبية في شعر الجنوب	الدكتور علي علي مصطفى صبح
• النظرية الخلقية عند ابن تيمية	الدكتور محمد عبدالله عفيفي
• الكشاف الجامع لمجلة المنهل	الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
• ديوان حمام	الأستاذ محمد مصطفى حمام
• رحلة الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• فجر الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• الماء ومسيرة التنمية	الأستاذ مصطفى نوري عثمان
• الدفاع عن الثقافة	الدكتور عبدالعزيز شرف
• من فكرة لفكرة	الأستاذ مصطفى أمين
• المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر)	الأستاذة منى غزال
• الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث	الأستاذ على مصطفى عبداللطيف السحرتي
• ذكريات لا تنسى	الأستاذ محمد المجذوب

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة: وطني الحبيب

العنوان	المؤلف
• جدة القديمة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
• جدة الحديثة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة :

العنوان	المؤلف
• السندباد والبحر	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
• الديك المغرور والفلاح وحماره	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الطاقية العجيبة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الزهرة والفراشة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• سلمان وسليمان	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• زهور البابونج	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• اليد السفلى	الدكتور محمد عبده يماني الأستاذ يعقوب محمد اسحق

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• سنبلة القمح وشجرة الزيتون	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• نظيمة وغنيمة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• جزيرة السعادة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By: F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.

  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference **Second Edition'**
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By: Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.